المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فرع اللغة

الترتيب في اللغة

لأحمد بن مطرف بن إسحاق بن حماد الكناني
المتوفى (٤١٣) هـ

(الجزء الثاني)

دراسة وتحقيق

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة

إعداد الطالب
عبد الله بن فهيد بن رشود البلعي

إشراف الدكتور
عبد الرحمن بن سليمان بن عثيمين

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

قام الطالب بالتصويب حسب توجيهات المناقشة

المشرف : د. عبدالرحمن بن عثيمين

المملكة العربية السعودية

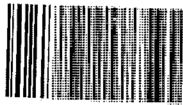
وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات العليا

فرع اللغة



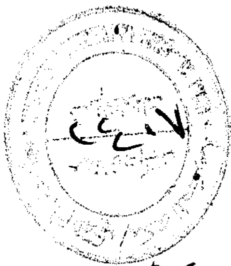
الترتيب في اللغة

لأحمد بن مطرف بن إسحاق بن حماد الكناني

المتوفى (٤١٣) هـ

(الجزء الثاني)

دراسة وتحقيق



رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة

إعداد الطالب

عبد الله بن فهيد بن رشود البلهي

إشراف الدكتور

عبد الرحمن بن سليمان بن عثيمين

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

المجلد الأول

" بسم الله الرحمن الرحيم "

ملخص رسالة ماجستير بعنوان

(الترتيب في اللغة لاحمد بن مطرف الكناني (ت ٤١٣ هـ) الجزء الثاني ، دراسة وتحقيق)

اقتضت طبيعة العمل في هذا الكتاب أن يقع في قسمين رئيسين : الأول كان الحديث فيه عن المؤلف ودراسة الكتاب ، والآخر تحقيق نص الكتاب.

أما دراسة حياة المؤلف فقد اشتملت على : نسب المؤلف ، ومولده ، وموطنه ، وشيوخه ، وتلاميذه ، وأقوال العلماء فيه ، ووفاته ، وآثاره العلمية .

وأما دراسة الكتاب فقد اشتملت على : اسمه ، وتوثيق نسبته إلى مؤلفه ، ومنهج المؤلف فيه ، ومصادره ، وشواهده ، وعنايته بالظواهر اللغوية والتصرفية ، وعنايته باللهجات العربية والمعربات ، والمقارنة بينه وبين غريب المصنف لأبي عبيد والمخصص لابن سيده ، وعناية المؤلف بإيراد الأخبار ، ثم اختُتِمت بوصف المخطوط ، ومنهج التحقيق .

أما القسم الآخر فقد تناول نص الكتاب بضبطه ، وعزو شواهده ، وتخريجها من مظانها ، والتعليق على ما أشكل من النص ، وعزو النقول إلى أصحابها في كتبهم ، وخُتِم الكتاب بفهارس مفصلة .

ومن أهم النتائج التي توصّل إليها البحث :

١ - أنه كشف عن علم من أعلام اللغة ظل على مدى ألف عام بعيداً عن ميدان الدراسات ، وعن كتابه الترتيب في اللغة،الجزء الثاني ، وهو الأثر الوحيد المتبقي له .

٢ - تحقيق نسب المؤلف ومولده ووفاته ، وتحرير ما تباينت فيه كتب التراجم من اختلاف حول سير حياته .

٣ - أنه أضاف لَبِنَةً جديدة إلى المعاجم عامةً ، فقد اتضح من خلال عرضه عليها أن أصحابها لم يرجعوا إليه ولم يفيدوا منه .

٤ - أنه حفظ لنا نصوصاً من كتب مفقودة لها أهمية في الدراسات اللغوية ، كنوادر أبي زياد الكلابي وابن الأعرابي ، وخلق الإنسان للنضر ابن شُمَيل ، وغريب الحديث لابن الأنباري .

٥ - إضافته مادةً جديدةً إلى الكتب المتخصصة كمعاجم البلدان وكتب السلاح ، والأضداد ، والإبل .

٦ - أنه جمع ما جاء من كلام العرب على افعلل يفعلل افعلالاً ، ولم يُسْبَق إلى ذلك .

الباحث	المشرف	عميد كلية اللغة العربية
عبدالله بن نهيد البقمي	د . عبدالرحمن بن سليمان بن عثيمين	د . محمد بن مريسي الحارثي

المقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فان الله – جل ذكره – اذ من على هذه الأمة بحفظ لغتها – وهو الذى تأذن بذلك سبحانه – حين تكفل بحفظ القرآن الكريم ، أعان أولئك الأفذاذ من علمائنا الأوائل على حفظ تراثنا ، وهيأ لهم سبل القيام عليه ، واتجهوا نحو القبائل العربية التى بلغت أعلى مراتب الفصاحة فعاشوا بين ظهرانيهم وشافهوهم وتلقوا عنهم حرصا على بقاء اللغة سليمة نقية ، وكان الاعتماد على مارواه هؤلاء الثقات عنهم من نثرهم ونظمهم ، وأجهدوا أنفسهم فى ذلك غير مبالين بما أصابهم فى سبيل ذلك فلاقوا فى تحصيله من الصعاب مالاقوا فى عصر كانت فيه أدوات البحث العلمى قاصرة محدودة .

من ثم صنفوا المعاجم التى تضم مفردات اللغة ، لتكون سراجا يضىء طريق الباحثين وموردا عذبا ينهلون منه . فدارس اللغة بحاجة ماسة الى استخدام المعجم اللغوى كى يستمد منه بغيته ويسترشد به فى معرفة معانى اللغة واستعمالات ألفاظها

وقد صنف اللغويون كثيرا من الرسائل اللغوية التى جمعوا فيها المفردات الخاصة بموضوع من الموضوعات كأبى زيد (ت ٢١٥هـ) فى "اللبأ واللبن" و"المطر" ، والأصمعى (ت٢١٦هـ) فى "الابل" و"الخيل" و"السلاح" و"الشاء" ، وابن الأعرابى (ت٢٣١هـ) فى "البئر" ، وأبى حنيفة الدينورى (ت ٢٨٢هـ) فى "النبات" وغيرهم من العلماء .

ثم اتسعت دائرة التأليف فصنفت معاجم المعانى التى تضم الموضوعات العديدة ، أخذ أغلبها من هذه الرسائل التى تعد النواة الأولى لها .

فالف أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ) "غريب المصنف" ، وابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) "الألفاظ" ، والاسكافي (ت ٤٢١هـ) "مبادىء اللغة" ، وابن سيدة (ت ٤٥٨هـ) "المخصص" ، وغيرهم .

كما كان هناك ضروب من التأليف المعجمي منها مارتب على مخارج الحروف كـ"العين" للخليل (ت ١٧٥هـ) ، و"تهذيب اللغة" للأزهري (ت ٣٧٠هـ) .

ومنها ماهو على الترتيب الأبجدي على حسب أواخر الكلمات كـ"الصحاح" للجوهري (ت ٣٩٨هـ تقريبا) ، و"اللسان" لابن منظور (ت ٧١١هـ) ، و"التاج" للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) . أو على حسب أوائل الكلمات كـ"أساس البلاغة" للزمخشي (ت ٥٣٨هـ) و"المصباح المنير" للفيومي (ت ٧٧٠هـ) .

وممن أسهم في تأليف المعاجم المرتبة على المعاني أحمد بن مطرف الكناني (ت ٤١٣هـ) في كتاب "الترتيب في اللغة" موضوع هذه الرسالة ، ووقفت على الجزء الثاني منه فقمت بمراجعته وقراءته المرة تلو الأخرى قراءة متأنية جعلتني أطمئن الى جودة مباحثه وصحة معلوماته وسلامته من النقص والعيب في غالبه - وأنه جدير بالدراسة والتحقيق . فهو جزء من كتاب متعدد المحاسن ، فيه من الفوائد النحوية واللغوية والأدبية والمباحث الأخرى مايجعله يستحق الاهتمام والرعاية من الباحثين والدارسين . وبعرضه على معاجم اللغة المتداولة ، وجدت أن مؤلفيها لم يفيدوا منه ولم يعرفوه ، مما يرجح أنه سيضيف جديدا الى مادة المعاجم . ثم بحثت في فهارس المخطوطات فلم أجد له أثرا يذكر ، فاتضح أن هذا الجزء - المتبقي من كتاب ضخم - الأثر الوحيد له ، وأن أحدا لم يعمل عليه ، ولعل هذا راجع الى قلة نسخ هذا الكتاب وعدم تداوله ، أو لعله من الممتلكات الخاصة التي يؤثر أصحابها الاحتفاظ بها .

وبالنَّظر في ترجمة مؤلفه اتضح أنه من العلماء الذين لم يأخذوا حقهم من العناية والدرس مع تَقدُّم عصره .

مِنْ ثَمَّ قدَّمتُه إلى مجلس قسم الدراسات العليا بكلية اللُّغة العربية بجامعة أم القُرى ، لنيل درجة الماجستير في اللُّغة .

فوافق المجلس – مشكورا – على أن يكون تحقيقه ودراسته جزءاً من متطلبات نيل درجة الماجستير .

وقد دفعني للعمل على هذا الكتاب أمور عديدة منها :

(١) أهميَّة معاجم الموضوعات ، ودورها في إثراء المكتبة اللّغويّة ، وقلّة ماتحتويه منها .

(٢) أن مؤلف الكتاب من العلماء الذين لم يحظوا بالعناية والدرس مع تقدم عصره ، وأَن ماحظي به من الثَّنَاء عليه والإشادة بمؤلفاته – كما سنبين ذلك – ليُغْرِيان بإقامة دراسة عنه ، لاسيَّما وهي الأولى ، كما أنَّ الاختلاف والتباين حول اسمه ونسبه وأخباره ومؤلفاته في كتب التراجم مما يدعو للاضطلاع بمهمة تعريف الناس به ، فعزمنا على تحقيق ذلك وبيانه .

(٣) أن هذا الجزءهو الأثر الوحيد الموجود لمؤلفه ،حسب علمي.

(٤) ما احتواه من نصوص كتب مفقودة ، كخلق الإنسان للنَّضر بن شُمَيل ، ونوادر الفَرَّاء ، ونوادر أبي زياد الكلابي ، ونوادر ابن الأعرابي ، وغريب الحديث لابن الأنباري ... وغيرها .

(٥) مادرج عليه مؤلفه حيث عرض المادة اللغوية بأسلوب ممتع ، يتَّسم بجودة الصِّيَاغة وحسن التَّعبير ، مع توسُّع في الرواية وولع بالغريب ، مدعِّماً ذلك بالشواهد المتنوّعة ، التي تصل إلى مقطوعات – أحيانا – لشعراء قد لاتوجد في دواوينهم .

(٦) اعتماده النقل عن سابقيه من مشاهير العلماء - وعزوه الأقوال إلى أصحابها ، مع عنايته بالسند أحياناً .

(٧) تضمينه كتابه باباً في نوادر كلام العرب ، يعتبر جزءاً من عِقْد منظوم من كتب النَّوادر ، يضيف فيه مادة جديدة إلى مَنْ سبقه ، وهو باب جمّ النَّفع عظيم الفائدة ، يضم غرائب اللغة والأخبار المنتخبة والأشعار المختارة والأمثال المستجادة ، ويجمع ماتناثر من شتات اللغة .

(٨) أن الرجوع إلى المعاجم المشهورة - كالعباب والتكملة للصغاني ، ونهاية ابن الأثير ، وحواشي ابن بري ، ومؤلفات الفيروز آبادي ، والتاج للزَّبيدي - أظهر لنا عدم اعتمادهم عليه وإفادتهم منه ، مِمّا يجعل له أهميَّة خاصّة في إضافة مادة جديدة إلى هذه الكتب ، ومن ثَمَّ إثراء المعجم العربي بعامة .

(٩) أن هذا الجزء يظهر ملامح الأجزاء المفقودة من الكتاب ، وذلك من خلال إحالاته إليها .

وهي أمور تُغْري - مجتمعة - بالاشتغال به ، وتحضُّ على ذلك

وقد اقتضت طبيعة العمل في هذا الكتاب أن يقع في قسمين رئيسين تسبقهما مقدمة :

القسم الأول ويتناول فصلين ، أمَّا أولهما فكان الحديث فيه عن المؤلف وبيان جوانب حياته قدر الإمكان ، مع محاولة تحرير ماتباينت فيه كتب التراجم التي ذكرته .

وأما الثَّاني فقد خُصِّص لدراسة الكتاب ، وتوثيق نسبته إلى مؤلفه ، وبيان منهجه فيه ، ومصادره التي اعتمد عليها ، وشواهده ، وعنايته ببعض الظواهر اللغوية ولغات القبائل والمعرَّبات ، مع المقارنة بينه وبين غريب المصنف

لأبي عبيد القاسم بن سلّام الهَرَوِي (ت ٢٢٤هـ) والمخصّص لعلي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ) ، وكانت النية أن يضاف إليهما كتاب السماء والعالم لأحمد بن أبان بن سيد الإشبيلي (ت ٣٨٢هـ) ولكن رداءة النسخة المصورة عنه - في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى - حالت دون قراءتها قراءة تُمَكِّن من الإفادة منها ، ليَتِمّ عقد المقارنة بينه وبين الترتيب .

والقسم الثاني يتناول النصّ المُحقّق ، وقد حاولت جاهدا إخراجه في صورة هي أقرب ماتكون لمراد مؤلِّفه ، فقمت بضبطه وعزو شواهده من القرآن والسنة والآثار وكلام العرب شعرا ونثرا ، وعرض نصوصه على المصادر المختلفة مِمَّا استلزم الرجوع إلى أمهات الكتب في فنون عدة فضلا عن المصادر اللغوية لتوثيق النّص ، فقد تنوعت مادة الكتاب بتنوع مصادر مؤلِّفه وأُصُوله .

وتمت إضافة بعض الحواشي بغية إضاءة النّصّ وإعانة القارئ على فهمه .

وأخيرا تأتي الفهارس الكاشفة لمُحْتَوى الكتاب .

ولعلّ مِن حسن الطالع أن تأتي هذه الدراسة المتواضعة في التعريف بابن مطرّف والجزء الثاني من كتابه الترتيب بعد مرور ألف سنة على وفاته ، فإنه - رحمه الله - تُوُفِّي سنة ٤١٣هـ ، وقد بقي في أثنائها بعيداً عن ميدان أغلب الدراسات .

وختاماً أود أن أتقدم بالشكر الجزيل والثّناء للقائمين على هذا الصرح العلمي ، وفي مقدمتهم معالي مديره الدكتور/ راشد الراجح .

كما أتقدم بالشكر والثناء لأستاذي الأستاذ الدكتور/ عليان بن محمد الحازمي العميد السابق لكلية اللغة العربية الذي أتاح لي فرصة الالتحاق بهذه الكلية ، ومواصلة دراستي العليا بها ، سائلاً الله عزَّ وجلَّ أن يتولَّى مثوبتَه ، ويَجزيَه خيرَ الجزاء .

والشكر أيضا لكلّيّة اللُّغة العربيَّة ممثَّلة في عميدها الحالي الدكتور/محمد بن مريسي الحارثي ، ونائبه الدكتور/ سعد حمدان الغامدي ، ورئيس قسم الدراسات العليا الأستاذ الدكتور/سليمان بن إبراهيم العايد ؛ الّذين وفروا لنا مانحتاج إليه أثناء فترة إعداد هذه الرسالة .

وأخص بالشكر والثناء أستاذي القدير الدكتور عبد الرّحمن بن سُلَيمان بن عثيمين الّذي شَرُفت بالتَّلقِّي عنه في دراستي الجامعيَّة الأولى وفي مرحلة الماجستير ، والَّذي فتح لي قلبَه ومكتبَتَه ، ولم يألُ جهداً في توجيهي وتذليل الصِّعاب التي تَعترضني ، فلَه منِّي جزيل الشّكر والمِنَّة ، وله من الله خير الجزاء . وأشكر أيضا كل مَن مَدَّ لي يد المساعدة من أساتذتي الأفاضل وزملائي الكرام "وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ" . ولايفوتني أن أتقدَّم بخالص الشكر والتقدير للأستاذين الكريمين عضوي لجنة المناقشة على ماسيبذلانه من جهد ووقت في قراءة هذه الرسالة وتقويمها ، وأسأل الله أن يجعل عملنا خالصا لوجهه إنه سميع مجيب . والحمد للَّه أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً .

القسم الأول

ويشتمل على :

الفصل الأول : ترجمة المؤلف .

الفصل الثاني : دراسة الكتاب .

مؤلف الكتاب

لم نستطع الوقوف على ترجمة وافية دقيقة لأحمد بن مُطرِّف الكناني مؤلف كتاب "الترتيب في اللغة" ، وقد ورد في كتب التراجم نزر يسير اختلفت فيه أقوالهم ، وتباينت حول جوانب حياته كلها .

فاقتصر بعض المترجمين على ذكر اسمه الأول واسم أبيه ، وتعدَّى ذلك آخرون إلى أجداده . ومنهم من نسبه إلى "كنانة" وربما نُسِب إلى طَيِّء . واختلف في موطنه ، فقيل : عسقلان من بلاد الشام ، وقيل : دمياط من البلاد المصرية . كما اختلفوا في تاريخ وفاته فجعله بعضهم في منتصف القرن الرابع ، وأخَّره آخرون إلى أوائل القرن الخامس الهجري . وقد أغرب من ترجم له في موضعين جاعلا منه شخصين مختلفين ، وترجم له آخر في ثلاثة مواضع جاعلا منه ثلاثة أشخاص أيضا .

والسبب في ذلك راجع - في نظري - إلى عدم انتشار مؤلفاته ، وقلة تلاميذه الذين يأخذون عنه ويشتهر بسببهم ، فلاغرو في أن تسلك كتب التراجم طرقا شتى في بيان جوانب حياته وأخباره .

وسأحاول التوفيق بين هذه الأقوال ومناقشتها للخروج بترجمة وافية قريبة من الصِّحَّة ، بحول الله تعالى،وذلك من خلال ماورد من أخباره في كتب التراجم ، والربط بينها وبين ماورد من نصوص في كتابه هذا الذي نتناوله بالتحقيق

والدراسة ، لعلي أعطي صورة أقرب إلى الواقع الذي نطمئنّ إليه في سير حياته وأخباره .

اسمه :

هو القاضي أبو الفَتْح أَحْمَد بن مُطَرِّف بن إِسْحَاق بن حمَّاد الكِنَانيّ (١) .

أوّل ترجمة له - فيما أعلم - أوردها شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) في معجم الأدباء ، وبعده جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٤هـ) في إنباه الرواة ، ثم تبعهما بعض المتأخرين .

وقد ترجم ياقوت لأحمد بن مُطَرِّف في موضعين ، قال في الأول : "أحمد بن مطرف بن إسحاق القاضي ، أبو الفتح المصري كان في الدولة المصرية في أيّام الحاكم ، وله تآليف في الأدب منها : كتاب "النّوائح" كتاب كبير في اللغة ..." .

وقال في الثاني عن تلميذه الحافظ أبي عبد الله الصوري (ت ٤٤١هـ) : "أحمد بن مطرف ، أبو الفتح العسقلاني ، كان يَلِي القضاء بدمياط ، ومات في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ومولده سنة نيّف وعشرين وثلاثمائة وكان أديبا فاضلا ..." ثمّ قال : "قال ذلك كله أبو عبد الله الصوري الحافظ ..." .

فهاتان الترجمتان محلّ نظر ، وبتأمّلهما نرى أوجه التشابه بينهما واضحة ، فالاسم أحمد بن مُطَرِّف ، والكنية

---

(١) أخباره في : معجم الأدباء : ٦٣/٥ ، وانباه الرواة : ١٧٠/١ ، والوافي بالوفيات : ١٨١/٨ ، وبغية الوعاة : ٣٩١/١ ، وروضات الجنات : ٢٤٣/١ ، وايضاح المكنون : ٤٨٧/١ ، وهدية العارفين : ٧٢/١ ، ومعجم المؤلفين : ١٨٠/٢ ، وتاريخ التراث العربي (المجلد الثامن) : ٤٧٢/٢-٤٧٣ .

أبو الفتح ، ووصفه ب"القاضي" ، والتّأليف في مجال اللغة والأدب ، والفترة الزمنية واحدة ، صرّح في الموضع الأوّل أنه في أيام الحاكم - والحاكم وُلّي الحكم سنة ٣٨٦هـ وتُوفّي سنة ٤١١هـ - وفي الثاني ذكر وفاته سنة ٤١٣هـ ، والوطن واحد وهو مصر .

فنحن أمام شخصية واحدة ومؤلف واحد ، وإنما ترجم له ياقوت في موضعين لأنه نقل في الموضع الثاني عن الصُّوري ، والصُّوري اكتفى بذكر الاسم الأول والثاني ثم نسبه إلى مكان الولادة وهو عَسْقَلان . أما الموضع الأول فلم يَذكر مصدره الذي نقل عنه . وبذلك جعل منه شخصين .

وقال القفطي : "أحمد بن مُطَرّف الطّائي[(١)] ، اللغوي المغربي ، أظنه من الأندلس ، كان واسع النفس في علم العربية واللغة ، صنّف في اللغة كتابا كبيرا سماه : "ديوان الكَلِم" ، ..." ، و"ديوان الكَلِم" أحال عليه المؤلف في كتاب الترتيب . ولم يذكر القفطيّ نسبه كاملا وإنّما اكتفى بذكر الاسم الأول والثاني . وأضاف أيضا : "وقد ذكر الحميدي في علماء الأندلس رجلا يعرف بأحمد بن مطرف بن عبد الرحمن ، وعظّمه بالعلم والفضل والتّقدم عند ولاة الأمور بالأندلس ، وذكر وفاته في سنة نيف وخمسين وثلاثمائة ، فلا أدري أهو هذا أم لا" ، ولقد اتضح لديّ أنه ليس هو من خلال نسبه أحمد بن مطرف بن إسحاق كما سبق ، وهذا ابن عبد الرحمن ، ووفاة مؤلف كتاب "الترتيب" سنة ٤١٣هـ وهذا مُتَوفّى سنة نيّف وخمسين وثلاثمائة ، وتبعه في ذلك الصلاح الصفدي (ت ٧٦٤هـ) في

---

(١) قال في نسبته : "الطائي" ، وهو تحريف ، وسنبين ذلك في موضعه .

الوافي بالوفيات بعد أن ترجم لابن مُطرِّف في موضعين نقلا[(١)] حرفيا عن ياقوت ، الذي ترجمه مرتين كما أسلفنا .

ثم ترجمة ثالثة أخذها عن القفطي ، قال : "أحمد بن مَطرِّف اللّغوي المغربي ، له "ديوان الكَلِم" وهو أكثر من عشرين مُجلّدا في اللّغة ، تُوفِّي بعد الخمسين وثلاثمائة ، ظنّاً" هذه عبارته ختمها بقوله : "ظنا" . ونحن إنما نجزم أنه توفي سنة ٤١٣هـ كذا نص عليه العلماء ، ويؤكد ذلك أنه ينقل عن أبي عبد اللّه الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) بواسطة شخص واحد ، هو أبوه وغيره ، كما ذكر ذلك في مواضع من كتابه : "الترتيب في اللغة"[(٢)] .

أما السيوطى في بغية الوعاة[(٣)] فلم يزد على ما أورده ياقوت ، وكذلك الخوانسارى فى روضات الجنات[(٤)] .

وقد تنبه الدكتور محمد فؤاد سزكين إلى وهم ياقوت ، ذكر ذلك في تاريخ التراث العربي[(٥)] ، فأورد ترجمة واحدة لأحمد ابن مُطرِّف ، وقال عند ذكر مصادر الترجمة : "بغية الوعاة ، وباتباعه ياقوت أورد ذكر أحمد بن مُطرِّف تَوهّما في موضعين جاعلا منه شخصين مختلفين" .

مِمّا سبق نخلص إلى أن مؤلف كتاب "الترتيب في اللُّغة" هو: الخطيب القاضي أبو الفتح أحمد بن مُطرِّف بن إسحاق بن حمّاد الكناني . ويُمكن الاستئناس بما جاء في جزء من أجزاء كتاب "المجرد" لعلي بن الحسن الهنائي (ت ٣١٠هـ) المُلَقَّب بكُراع

---

(١) ١٨١/٨ .
(٢) تنظر الصفحات : ٣٧٤ ، ٣٨٤ ، ٤٠٢ .
(٣) ٣٩١/١ .
(٤) ٢٤٣/١ .
(٥) (المجلد ٨) : ٤٧٢/٢-٤٧٣ .



النَّمْل ، فقد جاء في آخر جزء الدال بخط ناسخه : "نقلت هذا الجزء من نسخة كتبها أحمد بن مُطرِّف بن إسحاق بن حمَّاد الكناني الخطيب رحمه الله وغفر له ، وقابلت به بثغر الإسكندرية - حماه الله - في شهر رمضان من سنة اثنتين وخمس مائة ، وكتب إبراهيم بن نشوان بن علي الخطيب الكاتب لنفسه ..." . وهذا النَّسب يتَّفق مع ماجاء في معجم الأدباء ، وابن مُطرِّف من المولَعين بالنَّادر والغريب من لغة العرب ، وقد سبقه في هذا الفنّ كُراع النَّمل ، فلاشكَّ أنه أفاد منه وإن لم يُصرِّح بذلك في الجزء الثاني من كتاب الترتيب ، فلعلَّه ذكر ذلك في الأجزاء الأخرى التي لم نَطَّلع عليها . فأُرَجِّح أن يكون هو كاتب نسخة "المجرد" التي نقل عنها إبراهيم بن نشوان ، وفيها نجد اسمه كاملا وبزيادة اسم "حَمَّاد" ، مِمَّا يجعلنا نَطمئنّ إلى ذلك .

أمَّا نسبته فقد قيل : الكِنَانِي ، والمِصري ، والعَسْقَلاني والمَغربي ، واللُّغوي ، والطَّائِي .

فالكناني نسبة إلى "كِنَانة" ، و"كِنَانة" قبائل عدة (١) ، أشهرها : كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضَر ، ولعلَّ نسبته إليها . وقد وردت هذه النِّسبة في المصادر التَّالية : (٢)

(١) سرور النفس للتيفاشي ، قال : "أورد القاضي أحمد بن مُطرِّف الكناني في كتابه المُسمَّى بـ "الترتيب" ..." .

---

(١) منها : كنانة بن حرب بن يشكر بن بكر بن وائل . وكنانة بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب . وكنانة بن بكر بن عوف بن عذرة ابن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب .

(١) ينظر : جمهرة أنساب العرب : ١١، ٣٠٦، ٤٥٦ ، والأنساب للسمعاني : ١٠/٤٧٥ .

(٢) ٣٣١ .

(٢) نسخة "المُجَرَّد" لكُراع ، حيث ذيّلها النّاسخ بقوله : "نقلت هذا الجزء من نسخة كتبها أحمد بن مُطرّف بن إسحاق بن حمّاد الكناني ..." .

والمصري : نسبة إلى مصر ، وهي بلده التي كان يسكنها .

والعسقلاني : نِسبة إلى عسقلان في الشّام ، وهي مكان ولادته .

ونسبه إليهما : ياقوت والصفدي والسيوطي والخوانساري وفؤاد سزكين .

والمغربي : نسبة إلى المغرب ، قاله القفطي ، ونسبته إليها لاتصح كما سيأتي .

واللّغوي : نسبة إلى اللّغة ، وهو من المشتغلين بها ، قاله : ياقوت والقفطي والصفدي والسيوطي والخوانساري وفؤاد سزكين .

والطائي : وردت هذه النسبة في إنباه الرواة (١) ، قال : "أحمد بن مُطرّف الطائي"، وهو تحريف ، لقرب رسم الطّاء من الكاف ، والصّواب : "الكِنَاني" فبالرجوع إلى تلخيصه لابن مكتوم (٢) وجدته فيه "الكناني" .

مولده :

ولد بعد سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة (٣) ، ذكر ذلك ياقوت بقوله : "مولده سنة نيف وعشرين وثلاثمائة" وتبعه في ذلك من جاء بعده . وهذا التاريخ عن أبي عبد الله الصوري الحافظ ، تلميذ المؤلف السالف الذكر .

---

(١) ١٧٠/١ .
(٢) ٢٢-٢٣ .
(٣) معجم الأدباء : ٦٣/٥ .

أمّا مكان الميلاد فذكر الدكتور محمد فؤاد سزكين أنه (١) في مدينة عسقلان ، من بلاد الشام ، ولم أجد من نصّ على ذلك .

موطنه :

كل الدلائل تشير إلى أن أحمد بن مُطرِّف الكناني مشرقي . قال ياقوت : "كان في الدولة المصريَّة في أيام الحاكم" وقال "كان يَلِي القضاء بدمياط" وانفرد القفطي بقوله : "اللغوي المغربي ، أظنّه من الأندلس ..." وهذا ظنٌّ منه ، ولعلّ الذي جعل القفطي يظنه مغربيّا أنّ اسم أحمد بن مطرف يتردد في تراجمهم فظن أن مؤلفنا منها (٢) .

شيوخه :

أسلفنا أن كتب التراجم لم يرد فيها إلا النَّزر اليسير من أخبار ابن مطرف ولكن من خلال النصوص الواردة في

---

(١) تاريخ التراث العربي ، المجلد ٨ ،و ٢/٤٧٢-٤٧٣ .

(٢) يحسن أن نذكر هنا بعض الأندلسيين الذين سموا أحمد بن مطرف :

١ - أحمد بن مطرف بن عبد الرحمن بن قاسم بن علقمة بن جابر بن بدر الأزدي ، من أهل قرطبة ، يعرف بابن المشاط ، توفي سنة ٣٥٢هـ .
ينظر : تاريخ علماء الأندلس : ٤٤/١ ، وجذوة المقتبس : ١٤٧ ، وبغية الملتمس : ٢٠٧ . وهو الذي عناه القفطي بقوله : "وقد ذكر الحميدي ..." .

٢ - أحمد بن مطرف بن محمد بن خلف بن بختري بن عبد الرحمن الأشعري ... توفي أيام المستنصر . (٣٥٠هـ) .
ينظر : تاريخ علماء الأندلس : ٤٥/١ .

٣ - أحمد بن مطرف بن هاني الجهني ، من أهل قرطبة ، وفاته سنة ٤٠٠هـ .
ينظر : الصلة : ١٧ .

٤ - أحمد بن مطرف ، يعرف بابن الخطاب ، من أهل قرطبة وفاته سنة ٤١٠هـ .
ينظر : الصلة : ٣٦ ، وبغية الملتمس : ١٨٠ .

الجزء الثاني من كتاب "الترتيب" التي ينقل فيها عن العلماء نستطيع أن نقول إنه أخذ العلم عن :

(١) والده : مطرف بن إسحاق بن حمّاد الكناني ، قال في الصفحة : "أنشدني أبي - رحمه الله - قال أنشدني عبد الله [بن] عمر الأنطاكي قال أنشدني أبو عبد الله ابن خالويه ..." .

وقال في الصفحة ٢٩٦: "حدثني أبي - رضي الله عنه - قال حدثنا عبد الله بن عمر عن أبي عبد الله بن خالويه" .

(٢) أبي الحسن الطبرى . قال في الصفحة :٢٠٣: "... والضَّيْزَن سَلِف الرَّجُل ، وهما ضَيْزَنَان ، والضَّيْزَن : ضِدّ الرَّجُل ، وهما ضَيْزَنَان أيضا ؛ أي ضدان . هذه حكاية حدَّثني بها أبو الحسن الطبري عن ابن خالويه" .

(٣) أبي محمد القاسم بن عبد الله الأذربيجاني . قال في الصفحة :٢٧٤: "حدثني أبو محمد القاسم بن عبد الله الأذربيجاني ، حدثني أبو عبد الله بن خالويه ، قال : حدثنا أبو أحمد كاتب عبد الغفار عن أخيه ..." .

(٤) أبي القاسم عمر بن أحمد السَّرّاج . قال في الصفحة :٢٨٤: "حدثنى أبو القاسم عمر بن أحمد السراج قال حدثنا أبو عبد الله بن خالويه قال حدثنا أبو بكر الطبري ..." .

(٥) أبي محمد عبد الله بن أحمد . قال في الصفحة :٢٤٥: "أنشدنى أبي - رضى الله عنه - عن عبد الله بن [عمر] عن ابن خالويه عن محمد بن القاسم عن ثعلب عن ابن الأعرابي ، وأبو محمد عبد الله بن أحمد عن ابن خالويه ..." .

هؤلاء هم شيوخه الذين تتردد أسماؤهم في كتابه ، ويأخذ عنهم ، ولم أقف على ترجمة أيٍ منهم فيما توفر لديَّ من كتب التراجم ، وهم جميعا من تلاميذ ابن خالويه .

تلاميذه :

إن ابن مُطرِّف من خلال مؤلفاته وكلام العلماء عنه في مكانة علمية عالية ، تجعله هدفا لطلاب العلم ينهلون من فيضه ويتتلمذون على يديه . وإن أبا عبد الله الصوري الحافظ (ت ٤٤١هـ) هو التلميذ الوحيد الذي ذكرته كتب التراجم (١) . قال ياقوت بعد إيراد ترجمة أحمد بن مطرف : "قال ذلك كله أبو عبد الله الصوري الحافظ ، وحكى أنه أنشده قطعة من شعره وناوله بقيَّته ، وأذن له في روايته عنه ورواية سائر مُصنّفاته ..." . ويبدو أن هذا من الأسباب التي أودت بمؤلفات ابن مطرف .

وأبو عبد اللّه الصوري ترجم له أبو سعد السمعاني (٢) بقوله : "أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن محمد الصوري الحافظ ، من أهل صور ، سكن بغداد ، وكان من الحفاظ المتقنين والعلماء المُتَّقين ، جال في بلاد الشَّام ، ورحل إلى مصر والعراق وأكثر من الشُّيوخ ، وجمع جموعا وتصانيف ولم يَتَمَّم أكثرها لأن المنيَّة اخترمته ، ذكره أبو بكر الخطيب الحافظ في تاريخ بغداد (٣) ، وقال : "أبو عبد الله الصوري قدم علينا بغداد في سنة ثماني عشرة وأربعمائة فسمع من

(١) معجم الأدباء : ٦٣/٥ .
(٢) الأنساب : ١٠٦/٨ .
(٣) ١٠٣/٣ .

أبي الحسن بن مخلد ومن بعده ، وأقام ببغداد يكتب الحديث ، وكان من أحرص الناس عليه وأكثرهم كتبا له وأحسنهم معرفة ، ولم يقدم علينا من الغُرَباء الذين لقيتهم أفهم منه بعلم الحديث ، وكان دقيق الخطّ صحيح النَّقل ..." .

وذكر وفاته بقوله : "ولم يزل ببغداد حتَّى توفي بها في جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، وكان قد نيّف على الستين سنة " .

وترجم له ياقوت في معجم البلدان(١) عند ذكر صور ، وقد أغرب في أخباره بقوله : "روى عنه أبو بكر الحافظ الخطيب والقاضي أبو عبد الله الدامغاني وغيرهما ، وزعم بعض العلماء أنّه لمَّا مات الصُّوري مضَى الخطيب واشترى كتبه من بنت له ، فإن أجمع تصانيف الخطيب منها ، ماعدا التَّاريخ فإنَّه من تصنيف الخطيب ..." .

ويظهر أن الصُّوري انتقل إلى بغداد بعد وفاة ابن مُطرّف بخمس سنوات ، فلعله لازمه إلى أن مات .

أقوال العلماء فيه :

قال عنه الوزير القفطي(٢) : "كان واسع النفس في علم العربية واللغة ، صنّف في اللُّغة كتابا كبيرا سمّاه : "ديوان الكَلِم" رأيت منه المجلّد العشرين في الأسماء المعتلّة ، فرأيت منه مايُستَدَل به على سعة ماعنده من هذا النوع ، ولقد حاضرت به يوما الخطيب أبا الحسن علي بن أحمد بن جعفر بن عبد الباقي الأموي العثماني ، من ولد أبان بن عثمان – نزيل

---

(١) ٣/٤٣٤ .
(٢) انباه الرواة : ١/١٧٠ .

قفط هو وسلفه من قديم ـ وهو أنبه من رأيت وأنصف وأعلم بالعربيَّة نحوا ولغة ، كثير المحفوظ ، فلما سمع كلام [الكِنَاني] هذا وتحقيقه لمواضع مشكلة من اللغة ، واتّساعه فيما يتصرّف فيه من الكلمات اللّغويّة على الأصول النّحويّة قال لي : هذا [أمثل] (١) تصنيف رأيته في هذا النوع ، وقد كان الكلام الذي طالعناه منه : "أَسَا الجُرْحَ يأْسُوه" وشاهدنا من اتّساعه في هذا الحرف شيئا لم نشاهده من غيره " .

هذا كلام القفطي عنه ، وهو من نظر في مُؤلَّفِه : "ديوان الكَلِم" .

وقال عنه ياقوت : "أديبا فاضلا" وأقول : إن مُؤَلَّفه "الترتيب" يشهد بفضله ويشير إلى عُلُوِّ قَدْره ، وقد وصفه التيفاشي بقوله : "للقاضي أبي الفتح أحمد بن مطرف كتاب في اللغة لم يُصَنَّف مثله في بابه ، سمّاه الترتيب" (٢) . والتّيفاشي قد اطَّلع على مُصنَّفاته ونقل عنها .

ولعل مهنة القضاء أضفت عليه ورع الصَّالحين وأدبهم .

وفاته :

أما تحديد وفاته فقد ذكره ياقوت سنة ٤١٣هـ (٣) ، وهو الأرجح . وقد ظن الصفدي أنه تُوُفِّي بعد الخمسين وثلاثمائة (٤) . ويَرُدُّ ذلك أن المؤلف ينقل عن ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) بواسطة شخص واحد .

---

(١) في الأصل : "مثل" ، والمثبت عن تلخيص ابن مكتوم : ٢٢ والسياق يرجح ما أثبت .
(٢) جاء ذلك على الورقة الأولى من كتاب الترتيب .
(٣) معجم الأدباء : ٥/٦٣ .
(٤) الوافي بالوفيات : ٨/١٨١ .

والذي ذكره الصَّفدي تاريخ وفاة أحمد بن مُطَرِّف بن عبد الرحمن ، المعروف بابن المشاط ، من أهل قرطبة .

(آثاره)

(أ) مؤلفاته :

(١) "ديوان الكَلِم" :

وهو معجم ضخم ، رتبه المُؤلِّف على أواخر الكلم ، كالصِّحاح للجوهري ولسان العرب لابن منظور ، وذلك بناء على وصف الوزير القفطي له ، وتؤكِّده إحالاته عليه في كتاب "الترتيب" ممَّا يُشير أيضاً إلى أنه ألَّفه قبل كتاب "الترتيب" .

قال الوزير القفطي : "صنَّف في اللغة كتابا كبيرا سماه "ديوان الكَلِم" ، رأيت منه المجلد العشرين في الأسماء المُعتلَّة " .

ومن النُّصوص التي وردت في كتاب "الترتيب" قوله عند حديثه عن القادسية : "وقد سقت الخبر بطوله في ديوان الكلم في باب حرف السين منه " والقادسية تذكر في "قدس" .

وقال : "وقد سقت ماقيل في الأب ومايجري مجراه وماقيل فيه من اللُّغات في أوَّل باب من ديوان الكلم " .

وقد ظنَّ الدكتور محمد فؤاد سزكين(١) أن قطعة منه محفوظة في التَّيمورية بدار الكتب بالقاهرة ، لغة : ٧١ ، (١٠٩) ورقة ، أولها ناقص ، نسخت سنة ٥٠٢هـ .

وقد وقفت على هذه النُّسخة فوجدتها قطعة من كتاب "المُجَرَّد" لكُرَاع النَّمل وهو معجم مُرتَّب على أوائل الكلم ،

---

(١) تاريخ التراث العربي : (المجلد ٨) : ٢/٤٧٢-٤٧٣ .

وهــذه نـقطة الخلاف ، فديوان الكلم مرتب على الأواخر . وبهذا يثبت خطأ فؤاد سزكين لأنه لم يدرك مَنهج كلّ منهما . وسبب نسبتها إلى المؤلف أن كاتبها إبراهيم بن نشوان نقلها من نسخة كتبها أحمد بن مُطَرِّف الكناني لنفسه ، كما جاء في آخرها .

(٢) كتاب في الأدب ، اسمه : "النوائح" .

قال ياقوت (١) : "وله تآليف في الأدب منها كتاب النوائح ، كتاب كبير في اللغة" ، هذه عبارته ولانعلم هل يقصد بكتاب كبير في اللغة أن يفسر "النوائح" ، واللغة والأدب مجال واحد لاتفريق بينهما عند القدماء أو أن واو العطف سقطت من النص ، وصوابه هكذا : "وله تآليف في الأدب منها كتاب "النوائح" ، وكتاب كبير في اللُّغة" فيكون الكتاب الكبير في اللغة "ديوان الكلم" ، الذي ذكره القفطي .

وذكر الدكتور محمد فؤاد سزكين نقلا عن بولس سباط قوله (٢) "وكانت منه نسخة موجودة في القرن السابع بإحدى مكتبات حلب" .

(٣) رسالة في الضاد والظاء كتب بها إلى الشريف أبي الحسن محمد بن القاسم الحسيني ، عامل تِنِّيس .

قاله ياقوت : وقد ذكرها الدكتور رمضان عبد التواب من بين المصنفات والرّسائل المُؤلّفة في الفرق بين الضاد والظاء في مقدمة تحقيقه لكتاب : "زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء" لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ) ، وقد حاول استقصاءها هناك .

---

(١) معجم الأدباء : ٦٣/٥ .
(٢) بولس سباط : Mie 49/1946/50 .

(٤) كتاب في القراءات ، ذكره القفطي[1] بقوله : "ورأيت كتابا في القراءات مُعَلّلا ليس بالكبير، لأحمد بن مطرف [الكناني] ، يدل على فضل وتضلع من العربية ، شاهدته في حلب يباع في مجلدين مُتوسّطين" .

ولعلّه كتاب "البديع في شرح القراءات السبع" لابنه المقرىء أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مطرف الكناني ، كذا ذكره المنتوري في برنامجه ، ص ١٣ ، وذكر سنده بقوله : "قرأت بعضه تَفَقُّهاً على شيخنا الأستاذ أبي عبد الله محمد بن محمد القيجاطي ، وأجاز لي جميعه وحدثني به عن القاضي أبي البركات محمد بن محمد بن الحاج عن الأستاذ أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الغافقي ..." .

(٥) كتاب "الترتيب في اللغة" ، وهو الذي نتناول الجزء الثاني منه بالدراسة والتّحقيق ، وسنُفصّل الحديث عنه .

(ب) أشعاره :

ترك ابن مُطرِّف ديوان شعر حافلاً ذكره ياقوت[2] ووصفه بقوله : "جمعه على نسختين ، إحداهما مُعْرَبَة والأخرى مُجَرَّدَة ، يكون دون ألف ورقة" . ولعلّه يقصد بالإعراب : الشرح . وشعر يُشْرَح حَرِيٌّ بأن يكون رصينا عميقا ، فيه من المعاني والألفاظ مايحتاج إلى شرح وإيضاح ، وديوان قارب ألف ورقة حقيق بأن يكون قد طرق معظم أغراض الشعر .

---

(١) إنباه الرواة : ١٧١/١ .
(٢) معجم الأدباء : ٦٣/٥ .

ومع هذا لم ينقل إلينا من شعره إلّا ما أورده ياقوت عن الصُّوري (١) ، قال : "وحكى أنه أنشده قطعة من شعره ، وناوله بقيته ، وأذن له في روايته عنه ورواية سائر مصنفاته ، قال ومما أحفظ له من قطعة :

عِلْمِي بِعَاقِبَةِ الأَيَّامِ يَكْفِيْنِي
وَمَا قَضَى اللّهُ لِي لَابُدَّ يَأْتِيْنِي
وَلَاخِلَافَ بِأَنَّ النَّاسَ مُذْ خُلِقُوا
فِيْمَا يَرُوْمُوْنَ مَعْكُوْسُوْ الْقَوَانِيْنِ
إِذْ يُنْفَقُ الْعُمْرُ فِي الدُّنْيَا مُجَازَفَةً
وَالْمَالُ يُنْفَقُ فِيْهَا بِالْمَوَازِيْنِ"

---

(١) المصدر السابق .

الكتاب

"التَّرتيب في اللُّغة" ، من معاجم المعاني ، رتَّبه المؤلِّف على أبواب ، وهو كتاب ضخم على مايبدو ، لم أجد منه حتَّى الآن – حسب علمي – إلا الجزء الثَّاني ، الذي أتناوله بالدِّراسة وأحقِّقه لأوَّل مرَّة بحمد اللَّه .

اسم الكتاب :

"الترتيب" : كذا جاءت هذه التَّسمية في آخر هذا الجزء قال : "تمَّ الجزء الثَّاني من كتاب التَّرتيب بحمد الله ومَنِّه ، يتلوه في الجزء الثَّالث : مايُذكر من سَيْر الإبل ونعوتها" .

أمَّا الورقة الأولى والتي تحمل اسم الكتاب فهي ساقطة .

وقد نقل عنه العلاَّمة أحمد بن يوسف التِّيفاشيّ – رحمه الله – (ت ٦٥١هـ) في كتابه : "فصل الخطاب فيما لايوجد في كتاب" ، ووقفت على النَّقل عنه في مختصر : "سرور النَّفْس بمدارك الحواس الخمس" للعلاّمة ابن منظور جمال الدين محمد ابن مكرم الأفريقيّ – رحمه اللَّه – (ت ٧١١هـ) ، قال : "أورد القاضي أحمد بن مطرف الكنانيّ في كتابه المسمى بـ"التَّرتيب" للرِّياح مائة وستة عشر اسما في لغة العرب اختصرناها لأنَّ كتابنا ليس كتاب لغة فنذكرها فيه" (١) .

وقد نقل عنه التيفاشيّ المذكور أيضا في كتابه :"أزهار الأفكار في جواهر الأحجار" (٢) قال : "وقال القاضي أحمد بن

---

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس : ٣٣١ .
(٢) أزهار الأفكار في جواهر الأحجار : ١٥٤ .

[مطرِّف] في كتابه المسمّى بالتَّرتيب في اللّغة : وأنَا جعَلْتُ حجَراً مِن هَذا النَّوع في دُرْج طَيب مع شيءٍ مِن المِسْك والعَنْبَر والكَافُور والنّدّ ؛ فبطل فعله بعد أن كان يجُرّ الحديد جرّاً عجيباً ، فعالَجْته كمَا قِيل وغَسَلْته بالخَلّ ؛ فمَا عَاد يَجُرّ شيئاً قَال : وهُو عِندي الآن لايَفْعَل شَيئاً " .

وقد زاد التّيفاشيّ في التّسمية هكذا : "التّرتيب في اللغة " . وهو المختار ، فالترتيب اسم لايدل على محتوى الكتاب ، وبإضافة "في اللغة " ، إليه تتحدد التَّسمية ، ويؤنسنا بها نقل التيفاشيّ عنه في أزهار الأفكار .

توثيق نسبته إلى مؤلفه :

لم يذكر المترجمون الذين ترجموا لابن مطرّف أنّ له كتابا باسم "التّرتيب في اللّغة " فياقوت الحمويّ ذكر أنّ له مؤلفاتٍ في الأدب واللّغة ، قال (١) : "منها كتاب كبير في اللّغة " ولعلّ الكتاب الكبير الذي ذكره ياقوت ولم يسمِّه هو "ديوان الكَلِم " يدلّ عليه قول القفطيّ (٢) : "صنَّف في اللّغة كتابا كبيرا سمّاه "ديوان الكلم " رأيت منه المُجلّد العشرين في الأسماء المعتلَّة ، فرأيت منه مايُستدلّ به على سعة ماعنده من هذا النّوع " .

فالكتاب وإنْ لم يذكره المترجمون إلا أنَّ نسبته ثابتة ولايختلج في النَّفْس أدنى شك في صحة نسبته إلى ابن مطرّف ، فكثير من كتب المتقدّمين لم تُذكر في تراجمهم وأخبارهم .

---

(١) معجم الأدباء : ٥/٦٣ .
(٢) انباه الرواة : ١/١٧٠ .

والأدلة التي تقطع بصحة هذه النسبة :

(١) مانقله التيفاشي عنه في "أزهار الأفكار"(١) ، وفي "سرور النّفس بمدارك الحواسّ الخمس"(٢) حيث نَصّ على اسم الكتاب واسم المؤلف ، وقد سقت النصين فيما سبق ، وهما يدلان بوضوح على صحة اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه .

(٢) مانقله عنه أحمد بن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) في كتابه "مسالك الأبصار"(٣) بواسطة التيفاشي ، قال عن الإسكندريّة : "وأما سبب بنائها القديم فقد ذكره التيفاشي ، ذكر في كتاب "سرور النّفس بمدارك الحواسّ الخمس" قال : ذكر أحمد بن مُطَرِّف في كتاب "الترتيب" إن الذي بَنىٰ الاسكندرية في أوّل أمرها جُبَير المُؤتفكي ..." وهذا النص ذكره المؤلف في "الإسكندرية" ، وأشرت إلى هذا النقل في هامش التحقيق .

(٣) ثبت في كتب التراجم أنّ لابن مُطَرّف كتابا اسمه "دِيوَان الكَلِم"(٤) وقد أحال إليه المؤلف في كتابه هذا "الترتيب في اللغة" ، قال في صفحة :٢٤٦"وقد سقت الخبر بطوله في "ديوان الكَلِم" في باب حرف السين منه .

وقال في صفحة :٣١٣"وقد سقت ماقيل في الأب ومايجري مجراه وماقيل فيه من اللغات في أوّل باب من "ديوان الكَلِم" وهو باب حرف الباء منه ..." .

ومما يؤنسنا أيضا أنّه لايخلو كل باب من أبواب كتاب "الترتيب في اللغة" من تصديره ب:"قال ابن مُطَرّف" ، وأحيانا يرد اسمه في ثنايا العبارات .

---

(١) أزهار الأفكار : ١٥٤ .
(٢) سرور النفس : ٣٣١ .
(٣) مسالك الأبصار : ٩١ .
(٤) يراجع مبحث مؤلفاته .

هذه كلُّها أدلة تواردت على القطع بأنّ كتاب "الترتيب فى اللّغة" لأحمد بن مطرِّف الكنانيّ .

منهج المؤلف فيه :

يعمد المؤلّف في كتابه إلى الجمع بين صنفين من التآليف درج عليهما سابقوه ؛ الصّنف الأول : جمع كلام العرب في مختلف المعاني دون تصنيف أو تقسيم على النحو الذي نجده عند أبي زيد (ت ٢١٥هـ) وابن الأعرابيّ (ت ٢٣١هـ) في نوادرهما ، يسير عليه المؤلف في باب النوادر .

والصنف الثاني : جمع كلام العرب في مختلف المعاني وتصنيفه في مباحث يضمها كتاب واحد كغريب المصنف لأبي عبيد (ت ٢٢٤هـ) ، والمُخصّص لابن سيدة (ت ٤٥٨هـ) ... وغيرهما ، يسير عليه المؤلف في باب السلاح والإبل .

ولما كان كتاب "التّرتيب في اللّغة" معجما للموضوعات فقد مضى ابن مطرّف في التوسّع والإفاضة ـ ممّا يدلّ على كثرة مصادره وتنوعها ـ كاستحداث بعض الموضوعات أو الاستطراد في أبواب الكتاب وإيراد فوائد شتّى في أصناف المعرفة ، ويُقيِّد نفسه أحيانا بقوله : "ممّا يطول الكتاب بذكره لو أوردناه" ويرى أنه ألّفه بشكل مختصر ؛ في قوله : "وقد سقت ماقيل في الأب ومايجري مجراه وماقيل فيه من اللغات في أول باب من "ديوان الكلم" وهو باب حرف الباء ، وأوردت على ذلك من شواهد الشعر مايطول هذا الكتاب بذكره لو أعدته ويخرج عن الحدّ الذي له أردته" .

وقد عُني بالغريب عناية خاصّة ، وهذا لايتأتّى إلا من عالم سبر أغوار العربية وعرف أسرارها ، فضمَّن كتابه باباً في نوادر كلام العرب ، يميل فيه أحيانا إلى الاستقصاء في

مثل : ماجاء على فَعِل وفَعُل ، وماجاء على فَاعُل ، وماجاء على فِعِل وماجاء على إِفْعَال وغيرها . وفي الأبواب الأخرى كإيراده ماجاء على افْعَلَلَّ يَفْعَلِلّ افْعِلّالاً ، ووضع له معجما مُرتّبا على أواخر الكَلِم .

وقد خلع منهجه على الكتاب حُلّةً من الجلال وأضفى عليه القَبول وجذب إليه النّفوس ، فكان متفنّنا في الأخبار ، حسن الرواية مع عنايته بالسند أحيانا قاصدا التثبّت والتّوثيق في الأخذ عن سابقيه .

فمن ذلك روايته للأبيات المشهورة في مدح بني عبد مناف قال : "وقد اختلفت الروايات في هذه الأبيات إلّا أنّ أصحّها ماأنا ذاكره عن الزبيري ..." .

وكان دقيق الضبط في مانقله من مفردات اللغة ، كقوله في الدفر والذفر : "وأما الذفر بالذال وتحريك الفاء ، فإنّه كل ريح ذكيّة طيّبة ، وكل ريح منتنة خبيثة إذا كانت شديدة النّفح من نتن أو طيب ، ومنه قيل : مسك أذفر ، فأمّا الدفر بالدال التي لاتُعجَم مع جزم الفاء فإنّه النّتن خاصّة ..." .

ويميل إلى القياس أحيانا إذا كان للمسألة التي يعرض لها وجه فيه ، والتنظير بالأمثلة المشهورة كقوله : "في الرّيّ" صفحة :٦٣"... تقول : رَوَى يَرْوِي رَوْيَاً ; ولكن الواو تُستثقل إذا كانت ساكنة مع الياء فجعلت ياء استخفافا كقولهم في نظائر هذه الكلمة : لَوَىٰ يَلْوِي لَيّاً وشَوَىٰ يَشْوِي شَيّاً وطَوَىٰ يَطْوِي طَيّاً وعَوَىٰ يَعْوِي عَيّاً وكَوَىٰ كَيّاً ونحو ذلك" . وإذا كانت الكلمة غريبة ذكر وزنها كقوله : رَجُلٌ جُبَّءٌ على فُعَّل ، وقوله : إِسْكَاف على إِفعال ، وصَعْفُوق على فَعْلُول مفتوح الأول

ساكن الثّاني . وقد عُني بالجموع عناية فائقة ، حيث يُفسّر الكلمة ويُردف بذِكر جمعها .

والكتاب لايخلو من بعض الأساطير والخرافة التي تُنافي العقيدة ، ذكرها المؤلف في أخبار البلدان وإنما أوردها لاستظرافها ؛ وتركنا التعليق عليها لأنها لاتخْفَى على القارئ اللبيب .

ومما يؤخذ عليه في اشتقاق المدن إيراده بعض الألفاظ الأعجمية وردّها إلى أصول عربية وإثبات اشتقاقها ، وهذا مالم نجده في معاجم البلدان المعنية بذلك ؛ ويتعدى ذلك أحيانا إلى إيراد أصل الكلمة في اللغات الأخرى بعد بيان اشتقاقها من العربية .

وإن ممّا تميّز به منهجه كثرة إحالاته على أبواب الكتاب الأخرى بغية الاختصار وخشية التكرار إلا أنه لم يسلم من ذلك فنراه في أبواب الكتاب يُكرّر بعض المواد ، وأحيانا يورد أبواب بكاملها في موضعين كالقادسية في حديثه عن البلدان ، أوردها في موضعين ، وباب الملوك والرؤساء ، أورده أيضا في موضعين . وهذا لايُقلّل من قيمته فهو كغيره من الكتب ؛ بل إن تكراره غير مُخِلّ حيث يورد في الموضع الثاني فوائد لم يذكرها في الأول .

ومع أن الجزء الثاني من كتاب "التّرتيب في اللّغة" لايشتمل على باب خلق الإنسان والخيل والسّباع والرّيح والنّبات والطّير والهوامّ ، إلا أنّه لايخلو من التطرّق لها وذكرها عند مناسبة تدعوه لذلك .

مصادره :

نقل ابن مُطرّف كثيرا عن اللغويين والنحويين من بصريين وكوفيين ورواة وغيرهم ، ولم يذكر مُصنّفاتهم التي أفاد منها إلا نادرا ، ممّا يدل على أن جُلّ اعتماده كان على ماتعيه حافظته ممّا قرأه من مصنفات سابقيه أو ممّا أخذه مشافهة عن

فأما ماسمعه من شيوخه فإنّه يصرح بهم ويعتمد السند في الرواية عنهم بقوله : "حدثني" ، ومن هؤلاء أبوه ، قال عنه "حدثني أبي – رضي الله عنه – قال عبد الله بن عمر عن أبي عبد الله بن خالويه ..." ، كما حدث عن غيره من شيوخه ، وقد سقت هذه النصوص عند الحديث عن شيوخ المؤلف .

وأمّا المصنفات التي نقل عنها فقد صرّح بعشرة منها ، وكلها لغويّة ، وقد كان نقله عنها بقوله : "قال فلان" ، أو يورد النص ويعقب بقوله : "حكى ذلك فلان في كذا" ، أو "ذكر ذلك فلان في كذا" . وكان أمينا في النقل عنهم ، فهو وإن لم يكن نقله حرفيّاً إلا أنّه يضيف مايُجْلِي غموض بعض النصوص ، وقد أشرت إلى ذلك في هوامش التحقيق . فنقل عن الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٥هـ) قال : "قال جماعة من أهل العلم : تقول العرب : هٰذه سَيْلَحون ومَرَرْتُ بسَيْلَحِين ، وهذه نَصِيبُون ومَرَرْتُ بنَصِيبِين ، مِثْلُ مُسْلمين ، وفي الرَّفْع مُسْلِمُون . حَكَى ذلك الخَلِيل في كِتَاب العَيْن ..." .

ووجدت النّصّ فيه : ٣/١٤٢ هكذا : "وسَيْلَحِين وسَيْلَحُون ونَصِيبِين ونَصِيبُون ؛ كَذا تُسَمِّيه العَرَبُ بلُغَتَيْن" .

وقال : "قال الأَصْمَعِيُّ : مِن السُّيوف الصَّفِيحَة ، وهُوَ العَرِيض ، وجَمْعُها الصَّفَائح ، وهٰذا الجَمْعُ على لَفْظ تَأْنِيث الصَّفِيحَة ؛ فإذا ذَهَبْتَ إلى السَّيْف وتَذْكِيره قُلْتَ في الجَمْع : الصِّفَاح" .

ووجدت النص في "السّلاح" للأَصْمَعِي : ٧٧ ، هكذا : "وَمِن أَسْمَائِها الصَّفِيحَة ، والجَمِيع الصَّفَائِح ، وَهُو العَرِيض" .

وقد كان يعتمد بشكل خاصّ على كتب النّوادر ، فقد نقل عن نوادر أبي زيادٍ الكلابيّ ، ونوادر الفرّاء (ت ٢٠٧هـ) ، ونوادر أبي زيد الأنصاريّ (ت ٢١٥هـ) ، ونوادر أبي مسحل

الأعرابي (ت حوالى ٢٣٠هـ) ، ونوادر ابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ) كما نقل عن خلق الإنسان للنضر بن شُمَيل (ت ٢٠٣هـ) ، وعيون الأخبار لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، وغريب الحديث لابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) ، وجمهرة اللغة لابن دريد (ت ٣٢١هـ) .

وقد نقل المؤلف عن علماء لم يُصرّح بكتبهم ، لعله اكتفى بذكرهم للدّلالة على مصنّفاتهم - وبعضهم له أكثر من كتاب - أو لعلّه لم ينقل عن مصنّفاتهم مباشرة ، وهم : أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) ، ويونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) ، وعثمان بن قنبر - سيبويه (ت ١٨٨هـ) ، وعليّ بن حمزة الكسائيّ (ت ١٨٩هـ) ، وعلي بن الحسن الأحمر (ت ١٩٤هـ) ، ومحمد بن المستنير - قطرب (ت ٢٠٦هـ) ، وأبو عبيدة معمر بن المثنّى (ت ٢١٠هـ) ، وأبو عمرو الشيبانيّ إسحاق بن مرّار (ت ٢١٣هـ) ، وعليّ بن المبارك اللحيانيّ (ت ٢٢٠هـ) ، وأبو عبيد القاسم بن سلّام (ت ٢٢٤هـ) ، ويعقوب بن إسحاق - ابن السّكّيت (ت ٢٤٤هـ) ، وأبو حاتم السّجستَانِيّ سهل بن محمد (ت ٢٥٠هـ) ، وأبو حنيفة الدينوريّ أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ)، وأحمد بن يحيى - ثعلب (ت ٢٩١هـ) ، والحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٧هـ) .

كما نقل عن الرواة ومنهم : عمرو بن كِرْكِرة ، وأبو المضاء الكلابي ، وأبو الجرّاح العقيليّ . ونقل أيضا عن : أبي سعد ، وعبد الله بن منبّه السّعدِيّ ، والعنبريّ .

نقل ابن مطرف عن كل هؤلاء بقوله : "قال فلان" ، "عن فلان" . وأحيانا لايُصرّح بهم وإنما يقول : "قال بعض أهل اللغة" ، و"قال جماعة من أهل العلم" .

الشواهد

كتاب "الترتيب" كغيره من كتب اللغة تعددت فيه الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية وكلام العرب شعرا ونثرا فلاتكاد تخلو قضية لغوية مما يعرض له من الاستشهاد عليها . وهذا يدل على تمكن المؤلف - رحمه الله - من المادة اللغوية التي يحللها وسعة إدراكه لها وقدرته على بيان معاني الألفاظ من خلال ورودها في أساليبها المختلفة .

كما أنه قد يورد العديد من الشواهد لبيان مايعرض له من القضايا اللغوية ، والأمثلة على ذلك جد كثيرة ، سنعرض لبعضها على سبيل المثال لا الحصر .

أولا : "شواهده من القرآن" .

استشهد المؤلف بنيف وستين آية في مواضع متفرقة من كتابه ، ليدلل بها على شرح معاني المواد اللغوية وإيضاحها بل إنه قد يستشهد على المعنى المراد إيضاحه بأكثر من آية ومن أمثلة ذلك بيانه مدلول "المطمئن"؛أورد أربع آيات لتوضيح معناها ، قال : (والمطمئن والمطبئن - بالميم والباء - شيء واحد ، وهو الشيء الساكن من قوله تعالى : {وتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّه تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ} ، {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ} ، {قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً} القرية هاهنا مكة والله أعلم . ومعنى هذا كله السكون ، ثم كثر ذلك حتى سميت الأرض المنخفضة والمكان الغائط مطمئنين ، وذكر بعضهم أن معنى قوله سبحانه : {فإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ} أي أَمِن واستقام على الطمأنينة .

وقد يكتفي المؤلّف بالإشارة إلى الآية دون ذكرها ، اعتمادا على سرعة إدراك القارىء لها ، وبذلك يعينه على الاستذكار ، كقوله في باب "مايُذكر من سبأ" : (من العرب من يصرفها ومنهم من يترك صرفها ، وقد قرأت القرّاء بالوجهين جميعا) ، وقوله : (وسمّي الزُّرَّاع كفّارا في القرآن) وقال : (والمعين الماء الذي يخرج من الأرض وكذلك جاء ذكره في القرآن) وقال : (وجمع الأمهة أمهات وبذلك جاء القرآن) .

ونراه يورد في استشهاده الحجج والبراهين التي تؤكّد مايريد ، ليقرّر معنى وينفي آخر ، كتفسيره "الجمل" ، قال : (ويقال للقَلْس الغليظ من قلوس النّخل : الجَمَل ، وهو معنى قول الله تعالى : {حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِيَاطِ} وذلك أنّ القَلْس من ضَرْب الخيط الذي يلج في ثقب الإبرة ، ولو كان أراد الجمل لعِظَمِه لكان في الحيوان ماهو أعظم منه) .

كما أنّه في بعض المواطن يحاول إيضاح ماكان مبهما وماقد يستغلق على القارىء ، ومن ذلك بيانه للربوة ، اسم من أسماء دمشق ، قال : (وهي المذكورة بالربوة كما جاء من قوله تعالى : {وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ} ، ثمّ يبيّن عائد الضّمير "هما" بقوله : (يعني مريم وعيسى عليهما السّلام) . وفي قوله تعالى : { قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً } قال: (القرية هاهنا مكة والله أعلم) .

أمّا القراءات فلم يورد ابن مطرّف إلا أربعاً منها ، نسب اثنتين ولم ينسب الأخريين ، قال : (وفي قراءة عبد اللّه : "فَمِنْهَا رَكُوبَتُهُم") وفي موضع آخر قال : (قرأ أيوب السّختياني "ولا الضّألين") ، وقال في "سبأ" : "وقد قرأت القرّاء

بالوجهين جميعا ، فمن صرف أراد القبيل ، ومن لم يصرف أراد البلد) وقال : (وقرأ بعض القرّاء : "أَكَادُ أَخْفِيْهَا" بفتح الألف من (خفيت) .

ثانيا : "الأحاديث النّبويّة" .

استشهد المؤلّف بأربعة وعشرين حديثاً ، بيّن من خلالها معاني بعض المفردات المناطة بالاستشهاد . وقد حكم على ثلاثة منها بأنّها مرفوعة ، وأغفل بقيّتها ، مع عدم ذكر سندها ، ويورد الحديث بقوله : (ومنه الحديث ، وقال النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم ، وجاء في الحديث ، وفي الحديث ، وقد يكتفي بالإشارة إلى الحديث بقوله : "جاء ذكره في الحديث") . وقد خرّجت بعض هذه الأحاديث فِي مواضعها من الكتاب .

ثالثا : "الشّعر" .

غلبت الشّواهد الشّعريّة على كتاب المصنّف - كغيره من كتب اللّغة - فاللّغويّ لايعدم أن يجد شاهدا على أيّ مسألة لغويّة تعرّض له ، وخاصّة من الشّعر .

وقد بلغ مجموع شواهده من الشّعر والرّجز ستّة وخمسين وسبع مائة بيتا ، سوى المكرّر . وقد عزا المؤلّف بعض الشّواهد إلى قائليها ، وأغفل بعضها الآخر ، من هذه الشّواهد الغفل ما استطعنا عزوه ونسبته إلى قائله ، وتخريجه من مظانّه .

والمؤلّف قد يكتفي فِي الاستشهاد ببيت واحد ، وقد يورده فِي مقطوعة تصل إلى ثمانية أبيات أو أقلّ من ذلك ، وربّما

تعدّدت شواهده على القضيّة اللّغويّة الواحدة ، منها على سبيل المثال : زيادة الميم في "ابن" ، استشهد بقول أبي كبير :

أَخَلَاوَ إِنَّ الدَّهْرَ مُهْلِكُ مَاتَرَىٰ   مِنْ ذِيْ بَنِينَ وَأُمِّهِمْ وَمِنِ ابْنِمِ

واستشهد بقوله أيضا :

تَعَاوَرْتُمَا ثَوْبَ الْعُقُوْقِ كِلَاكُمَا   أَبٌ غَيْرُ بَرٍّ وَابْنُمٌ غَيْرُ وَاصِلِ

وقول حسّان :

وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنَيْ مُحَرِّقٍ
فَأَكْرِمْ بِنَا خَالاً وَأَكْرِمْ بِنَا ابْنَمَا

وقَوْل الرّاجز :

ارْحَمْ عَجُـوْزاً كَفَلَـتْ وَرَبَّـتِ
والشَّيْخَ فَارْحَمْ وَابْنَمَيَّ وَابْنَتِي
والأُمَّ فَارْحَمْهَا لِطُوْلِ صُحْبَتِي

وقول الشّاعر :

وَمَاحُبِّي عَلِيّاً وَابْنَمَيْهِ   وَأُمَّهُمَا خِلَافـاً لِلنَّبِيِّ
وَلَكِنِّي أُرِيْدُ بِهِ رِضَاهُ   وَتَوْفِيْقاً مِنَ الرَّبِّ الْعَلِيِّ

كما كان المصنّف من المهتمّين بإيراد الرّوايات فيورد الشّاهد برواياته المختلفة إن وجدت ، وقد يتعدّى ذلك إلى اختيار مايراه صحيحا منها ، من ذلك ماأورده من أبيات في مدح بني عبد مناف حيث قال : (وقد اختلفت الرّوايات في هذه الأبيات إلا أنّ أصحّها ماأنا ذاكره عن الزّبيريّ ...) .

وعند استشهاده ببيت حميد الأرقط :

* عَضَّ الثِّقَافِ الْخُرُصَ الْخَطِّيَّا *

قال : (ويروى : "الْمُخْرِص الْخَطِّيَّا" والأوّل أكثر وأشهر) .

وقول الشّاعر :

إِذَا مَا الْقَبَائِلُ بَأْبَأْنَنَا   فَمَاذَا نُرَجِّي بِبَابَائِهَا

قال : (ويروى : "بِبِئْبَائِهَا" وهي أثبت الروايتين) .

وكان معنيّا بتفسير الألفاظ اللّغويّة في الشّواهد ، والاستشهاد عليها من القرآن والحديث والشّعر وفصيح كلام العرب ، ومن أمثلة ذلك شرحه "الأَعْبَد" بفتح الباء من قول الفرزدق :

* وأَعْبَدُ أَنْ أَهْجُو عَبِيْدًا بِدَارِمِ *

قال : "وأعبد بفتح الباء : بمعنى الجَحْد والأَنَفَة ، قال اللّه تعالى : {قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ} أي الجاحدين واللّه أعلم .

وقول الشّاعر :

* تَخَيَّرَهَا لِي سُوقَ مَكَّةَ بَائِعُ *

قال : (والبائع هاهنا : المُشتري ، لأنّ كلّ واحد من البائع والمشتري يبيع صاحبه شيئا بشيء ويشتري من صاحبه شيئا بشيء ، فهما بائعان ومشتريان لافرق بينهما ، ولذلك جاء في الحديث "البائعان بالخيار مالم يفترقا" ..." .

وتفيسره "الخَيْضَعَة" من قول لبيد :

* الضَّارِبُونَ الهَامَ تَحْتَ الخَيْضَعَهْ *

قال : "اختلف أهل اللّغة في تفسير هذه الكلمة – أعني الخيضعة – فقوم يقولون : هي البيضة ، وآخرون يقولون : هي الغبار ، لأنّ الخيضعة أيضا من أسماء الغبار ، والمعنى يحتمل الشّيئين" .

وقد يسهب المؤلّف في شرح البيت ويبسط القول فيه ، كتفسيره قول ساعدة بن جؤية :

حَيْرَانَ يَرْكَبُ أَعْلَاهُ أَسَافِلَه   يَخْفِي تُرَابَ جَدِيْدِ الأَرْضِ مُنْهَزِمِ

قال : "أي يَسْتَخْرِجه ، يقال : خَفَاه يَخْفِيه خَفْياً ، واخْتَفَاه يَخْتَفِيه اخْتِفَاء . وقوله : حَيْرَان يعني : الغيم ؛ أي لايتوجّه جهة واحدة إنّما يأخذ يمينا وشمالا . وقوله : مُنْهَزِم أي مُنْفَجِر بالماء ، وأصل الهَزْم : التّكسّر في الجِلْد وغيره ، يقال : سقاء فيه هزوم ، ويقال للقربة إذا يبست وتكسّرت : قد تهزّمت ، ومن هذا أخذت الهزيمة لانكسار العسكر بها ، ومن ذلك أيضا : الهزمة في الأرض وهو المكان المُطمئنّ" .

ومن خلال النّص السّابق نراه يعرض لاشتقاقات المادة اللّغويّة وتوسع العرب في دلالتها .

وكان المؤلّف على علم بالمصطلحات العروضيّة ، استشهد بقول الشّاعر :

قَدْ قُلْتُ يَوْماً والرِّكَابُ كَأَنَّهَا

قَوَارِبُ طَيْرٍ حَانَ مِنْهَا وُرُوْدُهَا

فقال : (قوله : "قد قلت" خَرْمٌ ، وقد كان إتمام كلم الشّعر : "وقَدْ قُلْتُ" ، فأسقط الواو خُرْماً ، والعرب تستعمل ذلك كثيرا ، وهو من عيوب الشّعر الجائزة) .

وبعض شواهده مخالفة للصّورة المشهورة الّتى وردت بها ، قال : (ويقال : جَمَّ الرَّجُلُ نَاقَتَه وهَشَمَها وهَجَمَها : إذا احْتَلَبَها ، قَال الرَّاجِزُ :

* أَرَدْتَ أَنْ تَجمَّه فَجَمَّكَا *

فأورده بالجيم ، والرّواية الصّحيحة :

* أَرَدْتَ أَنْ تَخُمَّهُ فَخَمَّكَا *

بالخاء المعجمة . وليس ذلك تصحيفاً من النّاسخ ؛ لأنّ محور كلامه حول مادة (جمم) قال قبله : (والجَمُّ: القَطْع ، ومنه

الجُمَّة ، ومنه الشَّاة الجَمَّاء ، ونحو ذلك ، ويقال : جَمَّ الرَّجلُ نَاقته ...) .

ومنها أيضاً قول الرّاجز :

* حتّى إِذَا أَهْرَ أَنْ لِلأَصَائِلِ *

استشهد به هكذا :

* حَتّى إذا اهْرَأَنَّ لِلأَصَائِلِ *

فجعل النّون في "اهرأن" من صلب الكلمة ، وإنّما هي نون النّسوة ، قال في باب افْعَلَلّ يَفْعَلِلّ ، فصل النون : "اهْرَأَنّ النّاسُ وأبْرَدُوا، بمعنًى ، قال الرّاجز : حَتّى ..." .

ومن الشّواهد الّتي ربّما لحقها التّحريف في المصادر اللّغويّة وأشهر المعاجم كاللّسان والتّاج قول الشّاعر :

* عَلَى لِمَّتِي حَتَّى اشْعَأَلَّ بَهِيمُهَا *

استشهد به ابن مُطَرِّف هكذا :

* عَلَى لِمَّتِي حَتَّى اشْعَأَلَّ نَهِيبُهَا *

وأورد بيتا آخر قبله ، وهو قول الشّاعر :

وَكَيْفَ التَّصَابِي بَعْدَ سِتِّيْنَ حِجَّةً
مَضَتْ لَكَ مُحْصَاةً عَلَيْكَ ذُنُوبُهَا

مما يُؤَكّد أنّ القافية هي الباء وليست الميم . وكأنّه بإيراده البيت الأوّل يريد تصحيح روايات الكتب .

وقد نسب ابن مطرّف شواهد من الشّعر لقائليها ، ولم أجدها في دواوينهم المطبوعة ، لعلّ جامعي هذه الدواوين لم يجدوها فيما بين أيديهم من المصادر ، فإن كان كذلك فيعدّ كتاب التّرتيب إضافة جديدة واستدراكًا على مَنْ قام بجمع الشّعر حيث يحمل بين دفّتيه شوارد من هذه القصائد ، وهي على النّحو الآتي :

أورد قول ذي الرّمّة :

حَرَاجِيْجُ مِمَّا ذَمَّرَتْ فِي مَنَاخِهَا بِنَاحِيَةِ الشّحْرِ الغَرِيْرِ وَشَدْقَمِ

ولم أجده في شرح ديوانه .

وأورد قول رؤبة :

حَتَّى إِذَا مَاخَاضَتِ الْبَرِيْمَا

مِنْ مُسْبَطِرٍّ يَبْرُدُ الْغُيُوْمَا

ولم أجده في ديوانه المطبوع .

وأورد قول امرىء القيس :

فَهْوَ وَرْدُ اللَّوْنِ فِي ازْبِئْرَارِهِ وَكُمَيْتُ اللَّوْنِ مَالَمْ يَزْبَئِرْ

ولم أجده في ديوانه المطبوع .

واستشهد بقول جرير :

وَذَاكَ الْفَحْلُ جَاءَ بِشَرِّ فَحْلٍ خَبِيثَاتِ الْمَشَافِرِ وَالْمَشِيْمِ

ولم أجده في ديوانه المطبوع .

وأورد بيت أوس بن حجر :

فَلَمْ يَكْبَئِنُّوا إِذ رَأَوْنِي وَأَشْرَقَتْ

إِلَيَّ وُجُوهٌ كَالسُّيُوْفِ تَهَلَّلُ

ولم أجده في ديوانه المطبوع .

واستشهد ببيت ابن أحمر :

فَلَمَّا انْصَرَفْتُ إِلَى رَحْلِي وَرَاحِلَتِي

حَتَّى ارْجَحَنَّ انْتِصَافُ اللَّيْلِ أَوْ كَرَبَا

ولم أجده في ديوانه المطبوع .

واستشهد ببيتين لأبي النجم :

بُدِّلْتَ مِنْ بَعْدِ الْخَلَايَا بَدَلَا

مَاءً قَرَاحاً لَمْ يُخَالِطْ عَسَلَا

وليسا في ديوانه المطبوع .

واستشهد ببيت الكميت :

تُعَيِّرُنِي رِئْمَانَ بَوٍّ وَلَمْ أَكُنْ　　　لِأَرْأَمَ ذُلّاً أَوْ أُوَاتِيَ عَاكِسَا

وليس في ديوانه .

واستشهد بقول العجاج :

* عَرَفْتَ رَسْماً بِالْحَوَامِي أَحْمَمَا *

وليس في ديوانه .

ومن الشّواهد الّتي عزاها ، وأخطأ في نسبتها :

نسب إلى رؤبة قوله :

* طَالَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ فَاسْلَهَمَّا *

وهو لوالده العجاج .

ونسب إلى العجاج قوله :

* عَنْ قَسْوَرِيِّ الْعِزِّ مُطْلَخِمِّ *

وقوله :

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْكِبَرِ الْقِلْحَمِّ
وَقَبْلَ نَحْضِ الْعَضَلِ الزِّيَمِّ

والأبيات لابنه رؤبة .

وقد يستشهد بشواهد النّحو على القضايا اللّغويّة ، ممّا يكسب هذه الشّواهد أهمّية أخرى ، كإيراده قول الرّاجز :

* أَطَرَباً وَأَنْتَ قِنَّسْرِيٌّ *

واستشهد به على أنّ العرب تقول للرّجل الكبير : قِنَّسْرِي، والنّحاة يستشهدون به على نصب "طَرَباً" بفعل مقدّر .

وأورد قول الشاعر :

أَفَرِحَ أَنْ أُرْزَأَ الْكِرَامَ وَأَنْ　　　أُورَثَ ذَوْداً شَصَائِصاً نَبَلَا

استشهد به على : النَّبَل ، قال : النَّبَل هاهنا : القليلة ، والنَّبَل : الخيار .

ويستشهد به النّحاة على حذف همزة الاستفهام دون دليل عليها .

رابعا : "الأمثال والأقوال" .

وهذا الضّرب من الشّواهد لايقلّ أهمية عن سواه ممّا احتواه الكتاب من الشّواهد ، فقد ضمّنه نيّفا وثلاثين من الأمثال والأقوال ، ولعلّه يحفظ منها الكثير ، يدلّ على ذلك إيراده عشرة أمثال في صحيفة واحدة دون مناسبة واستشهاد . ولايترك المثل غُفلاً بل يشرح غريبه ويذكر معناه غالبا .

عنايته بالظّواهر اللّغويّة والتّصريفيّة :

حفل الكتاب بالعديد من الظّواهر اللّغوية ، ومن بينها المشترك اللّفظي والتّرادف،والمسائل التّصريفيّة ، فقد أولاها المؤلّف عناية خاصّة .

(أ) المشترك اللفظي :

قال السيوطيّ في تعريفه (١) : "اللّفظ الواحد الدّال على معنيين مختلفين فأكثر ، دلالة على السّواء عند أهل تلك اللّغة " . وقد تناوله علماء اللّغة بالدّرس والتّحليل وبيان أسباب حدوثه ، وألّفوا فيه مؤلفات مستقلّة كالمبرّد (ت٢٨٦هـ) في كتابه : "ما اتّفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد" وأبي العَمَيْثَل (ت ٢٤٠هـ) واليزيديّ (ت ٢٢٥هـ) في كتابيهما : "ما اتّفق لفظه واختلف معناه" .

---

(١) المزهر : ٣٦٩/١ .

وقد عُنِي به ابن مطرف عناية فائقة محاولا استقصاءه في ثنايا كلامه بين الحين والآخر ، ومن ذلك :

في الصفحة :٢٧:قال : "الحِجْر : العَقْل ، والحِجْر : الأنْثى من الخيل" .

وفي صفحة :٣٠:قال : "العِرَاق : شَاطِىء البَحْر مَعَ طُوله ، والعِرَاق : فِنَاء الدَّار ، والعِرَاق : مَابَقِي مِن الحُمَّص خَاصَّة" .

وفي صفحة :٨٣:قال : "بَلْدَة النَّحْر : وَسَطُه ، والبَلْدَة : مَنْزِلَةٌ مِن مَنَازِلِ القَمَر ، والبَلْدَة : الرَّاحَة ... ، والبَلْدَة : الفِرَاق" .

وقال في صفحة :١٩١: "الإعراب : رَدُّكَ الرَّجُلَ عَنِ القَبِيح ، والإعْرَاب : مَعْرِفَتُك الفَرَسَ العَرَبِيَّ مِن الهَجِين إذا صَهَل ، والإعْرَاب : أنْ يَمْلِكَ فَرَساً عَرَبِيَّةً ، والإعْرَابُ : أَنْ تُعْرِبَ عَن صَاحِبِك ؛ أيّ تُبِينَ عَنْه ، والإعْرَاب : أَنْ تَتَزَوَّج امْرَأةً عَرُوبَاً ؛ أي مُحِبَّةً لك" .

وقال في صفحة :٢١٨: "والمَقْرُوع : السَّيِّد ، والمَقْرُوعُ : المَغْلُوب ، والمَقْرُوعُ : المَضْرُوب بالمِقْرَعَة ، والمَقْرُوع : المَطْعُون" .

(ب) الترادف :

وتعريفه (١) : "الألفاظ المفرده الدالة على شيء واحد باعتبار واحد" . وهو من سمات اللّغة العربيّة ، تنبّه له اللغويون – كما تنبهوا للمشترك اللفظي – وعرضوا له مُعَلِّلين سبب وجوده ، وألَّفوا فيه مؤلفات مستقلة ، ككتاب الأصمعي (ت٢١٦هـ) : "ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه" وكتاب الرُّمَّاني (ت ٣٨٤هـ) : "الألفاظ المترادفة" وغيرها . ولايخلو

---

(١) المزهر : ٤٠٢/١ .

كل باب من أبواب الكتاب من التّطرّق إلى المترادف ، وحَشْد أكبر قدر ممكن من الألفاظ لمُسمًّى واحد ، مُحاولاً الاستقصاء ، ومن الأمثلة التي يُمكن إيرادُها هنا :

قوله في صفحة :١٩٤ : "ويقال : أتَانَا على إِفّان ذلك ، وأَفَفِه ، وإِفّه ، وإِبّانه ، وإِيّانه ، وحِينِه ، ووَقْتِه ، وأَوَانِه بمعنًى واحد" .

وقال في صفحة :٢٨٧ : "والجُخَادِب ، والجَخْدَل ، والخَادِرُ ، والدَّهْمَج ، والدُّهَامج ، والجَرْشَع ، والجُعْشُم ، والسِّرْدَاح ، كُلّه الضخم" .

وفي صفحة :٢٩٥ : "واذا أعلقت المرأة بماء الرجل قيل : أَرْتَجَت ، وطَوَت ، وأَثْقَلَت ، وأَعْلَقَت ، وأَجَنَّت ، وأَكَنَّت ، وحَمَلَت وحَبِلَت ، وأَقْفَلَت" .

ومن الأمثلة مالايتسع المقام لذكره ، وسنكتفى بالإشارة إلى أرقام الصفحات التى وردت فيها :

أسماء المفاوز في صفحة :٨٩ ، وأسماء السيف في صفحة :١١٣ وأسماء الدرع في صفحة :١٦٢، وأسماء التراس في صفحة :١٧٢ وأسماء الضرب بالعصا ، وأسماء الضرب بالسوط ، وأسماء العصا ، وأسماء السوط في صفحة : ١٧٦ .

(ج) الأضداد :

هي الألفاظ التي تقع على الشيء وضده في المعنى (١) .

وقد عُنِي المؤلف بهذه الظاهرة وأفرد لها بابا ، سنذكره عند الحديث عن كتاب الترتيب بين غريب المصنف والمخصص في الصفحة : ٥٦ .

(١) أضداد أبي الطيب :١٧ .

(د) مسائل الصرف

(١) الأبنية :

كما سبق وذكرنا أن المؤلف أفرد بابا لما جاء من كلام العرب على بناء افْعَلَلَّ يَفْعَلِلّ افْعِلّالاً وافْعَأَلّ يَفْعَئِلّ افْعِيلالاً ، إلى جانب ذلك ترد بعض الأبنية في ثنايا كلامه ، منها :

في صفحة :١٧٨ : "ومما جاء على قولهم "فَعُل" قولهم : رجل أَشُر ، للمستأثر على أصحابه ، وعَبُد وأَرُقٌ وسَهُد ونَدُس ويَقُظ وفَطُن ، وممّا جاء من الصفات على "فَعُل وفَعِل" : رَجُلٌ عَضُد وعَضِد ؛ أي قصير ، وعَجُزٌ وعَجِزٌ ؛ أي عاجز ، ونَجُد ونَجِد ؛ أي شُجاع ، ووَظِيفٌ عَجُرٌ وعَجِر ؛ أيّ شَدِيد ، ولَيْلٌ خَدُرٌ وخَدِرٌ ؛ أيّ مُظْلِم ..." .

ويشير إلى ماندر منها في كلام العرب ، مُظهرا تأثُّره بابن خالويه ، قال عن صَعْفُوق في صفحة :٥٦ : "ليس في الكلام "فَعْلول" مفتوح الأول ساكن الثاني غيره" .

وقال في صفحة :١٧٩ : "وليس في الكلام اسم على مثال "فَاعُل" الا الآنُك" .

وقال في صفحة :١٨٠ : "لَيْس في الكَلام اسْمٌ عَلَى مِثَال "فِعِل" إلا اسْمَان وَهُمَا إبِل و إطِل" .

وقال عن إدْرَون في صفحة :١٨٥ : "قَالَ سِيبَوَيْه : لَايُوجَد في الكَلَام عَلَى مِثَالِه إلا إزْمَوْل وإسْحَوْف" .

وفي صفحة :١٨٩ : "قَال الأصْمَعِيّ : لَيْس فِي الكَلَام صِفَةٌ عَلَى مِثَال "إفْعَال" إلّا قَوْلهم : رَجُلٌ إسْكَافٌ ، وسَمْنٌ إذْوَابٌ ، ولَبَنٌ إحْلَابٌ ، ومَاءٌ إسْكَابٌ" .

وعن اعْرَوْرَيْت قال في صفحة ١٩١: "قَالَ الخَلِيلُ بن أَحْمَد "لَيْسَ فِي الكَلَام افْعَوْعَلْت يَتَعَدّى إِلَى مَفْعُولَيْن غَيْره" .

وفي صفحة ٢٧٥: "وقَالَ سِيبَوَيْه : لايُعْرَف فِي الكَلَام "افْعِيْلَى" إِلاَّ كلِمَتَان : إِهْجِيْرَا و إِخْرِيَّا" .

(٢) القلب المكاني :

يذكره المؤلف في ثنايا كلامه ، وذلك إذا عرض لِلَّفظ وَرَد عن العرب مَقْلُوباً .

ومن ذلك قوله فى صفحة ٤٤٢: "ويقال : أَجْهَفَت و أَضْجَفَت ، مَقْلُوبٌ" .

وقال في صفحة ٤٤٧: "ويُقَال لِنَسْل الإِبِل و الغَنَم : الوَابِلَة و الوَابِلَة ، مَقْلُوبٌ" .

وللاستزادة تنظر الصفحات: ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٩٢، ٤٣٤، ٤٨٦ .

(٣) المذكر و المؤنث :

قال عن التاء اللاحقة للأوصاف للتفريق بين المذكر و المؤنث عند حديثه عن الناقة اذا لقحت في الصفحة : ٤٣٨: "ويُقَال للنَّاقَة في تِلك الحَال شَائِلٌ وشَامِذٌ بِلاهَاء وكَذَلك عَاقِدٌ أَيْضاً ... فإِذَا شَالَتْ لِغَيْرِ كرَاهَة الفَحْل قِيل : نَاقَةٌ شَائِلَةٌ بِالهَاء وجَمَلٌ شَائِلٌ ؛ لِأَنَّك وَصَفْتَها بِفِعْلٍ هِي مُشَارِكَةٌ لِلذَّكَر فِيه ولَيْسَ للذَّكَر فِعْلٌ فِي الأَوَّل ، وكَذَلك يُفْعَل في هذَا المَعْنَى بِكُلِّ ذَكَرٍ و أُنْثَى" .

وقال عن صيغة المبالغة في الصفحة ٤٤٧: "فإذا كانَ الفحلُ لايُنْتِج له إلاّ الإناث فهُو مِئْناث ، وكذلك النّاقة ، ولاتدخُل الهاءُ في المؤنّث لأنّ مِئْناث ومِذْكار من الفِعْل "مِفْعَال" ..." .

وللاستزادة تُنْظَر الصَّفحَات : ٤٢١، ٤٢٨، ٤٣٠، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٥١ .

(٤) المصادر :

يذكر ابن مطرف المصادر القياسية والسماعية كثيرا عند ذكره الأفعال ، ويورد أحيانا أكثر من مصدر لفعل واحد ، كقوله في الصفحة ٤١٤: "طَرُو اللَّحْمُ يَطْرُو طَرَاوَةً وطَرَاءً ... وشَهُم الرَّجُل شَهَامَةً وشُهُومَةً : إذا كان ذكيّاً ، وقد شَهَمْتُه أشْهَمُه شَهْماً : إذا ذعَرْتَه" .

وقوله في الصفحة ٢٦١: "وعِمْت إلى اللَّبَن ، وعِمْتُ إلى المَاءَ أعِيم عَيْمَةً وعَيَمَاناً ومَعِيماً" .

ويذكر المصدر أحيانا للتفريق بين معنيي فعلين ، كقوله في الصفحة ٢١٥: "ويقال : رَجُلٌ سَبْطُ اليَدَيْن ، وسَبِطُ اليَدَيْن : إذا كان سَخِيّاً بَيِّن السُّبُوطَة ، وفي الطُّول بَيِّنُ السَّبَاطَة" .

وقوله في الصفحة ٣٥٥: "والقَانِع والقَنِع : الرَّاضِي بِمَا قُسِمَ لَهُ ، والمَصْدَرُ القُنُوعُ والقَنَاعَة ، والقَانِعُ السَّائِلُ ومَصْدَرُه القُنُوعُ لاغَيْر ..." .

ويأتي بالمصدر الواحد للمعاني المختلفة ، كقوله ٤٤٢: "وعَتَقَ مِن الرِّقّ عِتْقاً وعَتَاقاً ، ومِن الكَرَم عَتَاقاً أيْضاً" .

وقد ينص على اسم المصدر في مقابل المصدر ، كقوله في الصفحة : ٢٦١: "والحَيْضَة اسْمٌ ومَصْدَرٌ" ، ثُمَّ ذكر اسمَ المَرَّة بقوله : "والحَيْضَة مَرَّةٌ وَاحِدَةٌ" .

وقال في الصفحة : ٢٦٨: "ووَقَى مِنْه يَقِي وَقْياً ، وتَوَقَّى أَنْ يُصِيبَه ، تَوَقِّياً ، وكُلُّ شَيْءٍ وَقَاكَ مَاتَكْرَه فالاسْم مِنه : الوِقَايَة والوُقَايَة والوَقَاء" .

(٥) المشتقات :

كان ابن مطرف يعبر عن أكثرها بمفهومها ، وأحيانا بمصطلحاتها المعروفة .

قال عن اسم الآلة في الصفحة : ١٢٠ : "ويُقَال للّذي يُحَدّ به: السِّطام والمِسَنّ" .

وقال عن اسم المفعول في الصفحة : ١٢٨ : "والمَفْعُولُ بِهِ مَدْعُوسٌ ودَعِيسٌ" .

وقال في الصفحة : ١٧٥ : "... والفَاعِل : طَاعِنٌ ؛ فإذا كَانَ مُجِيداً لِلطَّعْن قِيلَ : هُوَ طَعَّانٌ ، والمَفْعُول بِه : مَطْعُونٌ وطَعِينٌ" .

وقال عن صيغة المبالغة في الصفحة : ٤٧٩ : "... والوَرُودُ الّتِي تَرِدُ المَاءَ كَثِيراً ، ويُقَال : نَاقَةٌ جَرُوزٌ ؛ وهي الكَثِيرَة الأَكْلِ لاتَكَادُ تَشْبَعُ مِنْ عَشَائِها" .

(٦) الجموع :

أولى ابن مطرف الجموع عناية فائقة ، وذلك عند شرحه المفردات اللغوية حيث يذكر ماورد عن العرب في جمعها سواء أكان ذلك الجمع قياسيا أم سماعيا ، ويشير إلى جَمْعَي القِلّة والكثرة أحيانا .

قال في الصفحة ٤٣٩: "والخَلِيفَة اسْمٌ يَلْزَم الوَاحِدَة لَيْسَ لَهُ مِنْه جَمْعٌ إلَّا أَنْ يُقَالَ: خَلِفَات فِي القَلِيلِ مِن العَدَد ؛ فَأَمَّا الكَثِير فَمَخَاضٌ ، كَمَا يُقَال : امْرَأَةٌ ونِسَاءٌ" .

وقوله : لَيْس لَه منه جمع ، يقصد جَمْعَ الكَثْرَة .

وقال في الجمع غير القياسي في الصفحة ٨٦: "وقَدْ جَمَعُوا القَرِيَّ بِأَقْرَاءٍ ، كَمَا جَمَعُوا الطَّوِيَّ بِأَطْوَاءٍ" . وكان القياس فيه أن يجمع على أَقْرِيَة وقُرْيَان .

وقال في تثنية الجمع في الصفحة ٤٩٣: "والسَّوَام : المَاشِيَة كُلُّها مِن الإبِل والغَنَم ، تَقُولُ : تَرَكْتُه فِي سَوَامٍ لَهُ ، وأَقْبَل سَوَامَانِ كَاللَّيْل ؛ يُرِيد : جَمَاعَتَيْن ، أَنْشَد الكِسَائِيُّ :

فَغَارَ إذَا أَشْجَرْنَ حَتَّى كَأَنَّنَا   قُرُومٌ تَلاقَتْ فِي سَوَامَيْنِ تَصْرِفُ

وهُو وإنْ كَانَ جَمْعاً فقد يُثَنَّى ويُجْمَع كمَا قَالُوا : تَلاقَتْ خَيْلاهُما وخُيُولُهم . وكَذَلك عَامَّة الجَمْع لَو شِئْتَ أَنْ تُثَنِّيَه فَعَلْتَ" ثُمَّ حَشَد كَثِيراً مِن الشَّوَاهد عَلَى تَثْنِيَته .

وقَال في التاء التي تَلْحق الجمع لتأكيد الجمعية في الصفحة ٤٨٧: "ويُجْمَع البَكْرُ بِكَارَة وبِكَاراً ؛ تَدْخل هَذه الهَاءُ في الجَمِيع ، كَمَا قَالُوا : فَحْلٌ وفِحَالَةٌ وفُحُولَةٌ ، وخَيْطٌ وخُيُوطَةٌ وحَجَرٌ وحِجَارَةٌ ؛ وذَلك في الكَلاَم كَثِيرٌ" .

وأورد من ألفاظ الجموع التي وُصف بها الواحد في الصفحة ٢٧٩: "ويقال : ثَوْبٌ أَسْمَالٌ ، وقَرْيَةٌ أَخْلاقٌ ، وقَدَحٌ أَعْشَارٌ ، وإنَاءٌ أَكْسَارٌ" .

وقال في جمع المحذوف اللام مثل : بُرَة وظُبَةٌ ، في الصفحة ٤٨٨: "غَير أَنَّ العَرَب قَالُوا : بُرَةٌ ، وبُرِين في الخَفْض والنَّصْب ، وبُرُون في الرَّفْع ، وقُلَةٌ وقُلُونٌ ، وظُبَةٌ وظُبُون ، فَأَدْخَلُوا النُّون ، وكَانَ حَقُّ هَذَا أَنْ يُقَال : بُرَةٌ وبُرَاتٌ ، وقُلَةٌ وقُلاتٌ ، وظُبَةٌ وظُبَاتٌ" .

(٧) النّسب :

من بين قضايا النّسب الّتي اعتنى بها المؤلّف النّسب إلى المقصور المنقوص ، قال في النّسب إلى ما آخره ألف أصليّة في باب الإبل ، صفحة :٤٧٥: "فإِنْ نَسَبْتَهَا إلى الغَضَا قُلْتَ : غَضَوِيَّة وكَذَلك إذَا نَسَبْتَ إلى كُلّ مَقْصُور مَنْقُوص ، يكُون الألِف الّتي في آخرها لامَ الفِعْل مِثل : قَفَا ورِبًا ورِضًا وعَمًى وفَتًى وصَفَا ، تَقُول قَفَوِيّ ورِبَوِيّ ورِضَوِيّ وصَفَوِيّ . ألا تَرَى أنّ قَفَا مِن الفِعْل "فَعَل" ، ورِضًى "فِعَلُ" وفتًى وصَفَا «فَعَل» .

واللاّمُ مِن الفِعْل هُو مِن هَذه الحُرُوف وأشْبَاهِها ؛ لَوْ أنّك نَسَبْتَ إلَيْها لَقُلْتَ : أعْمَوِيّةٌ وأعْمَوِيٌّ ، ونَحو ذَلك . وقَد نَسَبُوا إلى بَنِي أعْيَا : أعْيَوِيّ ، لأنّ هذا كلّه "أفْعَل" واليَاء في مَوْضِع اللاّم مِن الفِعْل ؛ فصَارَت وَاواً في النِّسْبَة " .

وقال في النّسب إلى ما آخره ألف زائدة:٤٧٦:وذكر فيه ثلاثة أوجه كما ذكره الصَّرفِيُّون : "وكَذَلك تَقُولُ في سَلْمَى وحُبْلَى وحَزْوَى ودَهْنَا ، مِمّا قَدْ عَلِمْتَ أنّ اليَاءَ فِيه زَائِدَةٌ ؛ تَقُول : سَلْمَاوِيّةٌ وسَلْمِيّةٌ ، وحُبْلاوِيّةٌ وحُبْلِيّةٌ ، وحَزْوَائيّةٌ وحَزْوِيّةٌ ، ودَهْنَاوِيّةٌ ودَهْنِيّةٌ ، قَال ذُو الرُّمّة :

بِوَعْسَاءَ دَهْنَاوِيَّةِ التُّرْبِ نَسَّمَتْ   بِهَا نَسَمُ الأَرْوَاحِ مِنْ كُلّ مُنْسَمِ

فمَنْ قَالَ : سَلْمَاوِيّة ونُظَرَاءَهَا شَبَّه هَذه اليَاءَ بِمَدّة حَمْرَاء وصَفْرَاء ، وإنْ كَانَتْ لَيْسَتْ مِنْها . ومَنْ قَال : دَهْنِيّة وسَلْمِيّة فإِنّه يَقُول : ألْغَيْتُ اليَاءَ زَائِدَة ونَسَبْت إلى مَابَقِي مِن الحَرْف . وإنْ شِئْتَ قَلَبْتَ اليَاءَ وَاواً فَقُلتَ : سَلْمَوِيّةٌ وحُبْلَوِيّةٌ ونَحْوهما " .

وقال في النّسب إلى الثّلاثيّ السّاكن الوَسَط : صفحة :٤٧٧:

"كُلّ حَرْف عَلَى ثَلاثة أحرُفٍ الأوْسَط مِن الثَّلاثة سَاكِن مثل : نَخْل ورَمْل وأشْبَاههما فإنّ العَرَب تَقُول في ذلك إذا نَسَبْتَ بالقَوْلين، التّحْريك والتّخْفِيف ، تَقُول : شَاةٌ رَمْلِيَّةٌ ورَمَلِيَّةٌ ، ورَجُلٌ نَحْوِيٌّ ونَحَوِيٌّ ، ومَا أشْبَه ذلك" .

(٨) <u>الإعــلال</u> :

ممّا أورده ابن مطرّف من قضايا الإعلال : قلب الواو ياء قال عند حديثه عن مدينة "الرَّي" وذكر اشتقاقها : في الصفحة ٦٣: "... وقَال قَوْمٌ آخَرُون : يَجُوزُ أنْ يَكُون مَأْخُوذاً مِن رِوَايَة الحَدِيث ، لِأنّك تَقُول : رَوَىٰ يَرْوِي رَوْياً ، ولَكِنّ الوَاوَ تُسْتَثْقَل إذَا كَانَت سَاكِنَةً مَع اليَاءِ فَجُعِلَت يَاءً اسْتِخْفَافًا كقَوْلِهم في نَظَائِر هذِه الكَلِمَة : لَوَىٰ يَلْوِي لَيّاً ، وشَوَىٰ يَشْوِي شَيّاً ، وطَوَىٰ يَطْوِي طَيّاً ، وعَوَىٰ يَعْوِي عَيّاً وكَوَىٰ كَيّاً ، ونَحْو ذَلك" .

وفي قَلْب الواو ياء مناسبة للحركة أورد في جمع حُورَان في الصفحة ٤٢١: "ومِن العَرَب مَنْ يَقُول فِي الجَمْع حُورَان بالوَاو وضَمّ الحَاء ؛ لأنّ الوَاوَ سَاكِنة فإذا ضَمَمْت أوّل الحَرْف بقيت واواً ؛ فإنْ كَسَرْت الحَاء فقُلْت : حِيرَان ، وحِوَار وحِوَارَة تَحوّلت ياء لسكونها" .

وأورد أيضا في المُوتن - وهي النّاقة الّتي تَخْرُج رِجْلا وَلَدِها قبل يَدَيْه عند الولادة - في الصفحة ٤٤٥: "ويُقَال لِلنَّاقَة مُوْتِن - بِغَيْر هَاء - وهنّ مَيَاتِن ومَيَاتِين بِاليَاء في الجَمِيع ، وفي الوَاحد بالوَاو ؛ لِأنَّك حِين قُلْت : مُوْتِن ، انضمّت المِيمُ واليَاءُ سَاكِنَةٌ فَغَلَبَتْها ضَمَّةُ المِيم فَحَوَّلَتْها وَاواً ، كَمَا قُلْت:مُوْسِر مِن اليُسْر ، ومُوقِنٌ من اليَقِين ، فَلَمَّا قُلْت : مَيَاقِين

انْتَصَبَتْ المِيم فَرَجَعَتْ اليَاء إلَى حَالِها فَقُلْت : مَيَامِين كَمَا قُلْت مَيَاسِير " .

وقَالَ في قَلْب الواو ياءً في جَمع «فُعَّل» في الصفحة :٤٣٧:

: "وكَذلك يَفْعَلُون فِيما كَان مِن الحُرُوف الثَّلاَثة بِالوَاو كَقَوْلِهم : قُوَّمٌ وقُيَّمٌ ، وصُوَّمٌ وصُيَّمٌ ، ونُوَّمٌ ونُيَّمٌ... فأَمَّا مَاكَان مِن حُرُوف اليَاء مِن الثَّلاَثة فَلاتَكُون إلاّ بِاليَاء تَقُول : هُو سَائِرٌ وهُم سُيَّرٌ ، وقَائِلٌ - مِن القَيْلُولَة - وهُم قُيَّل " .

ومن قضايا الإعلال أيضا : الجمع بين السّاكنين ، قال في التّخلّص منه في الصفحة :٣٧٧: "والمُزْهَئِرّ مِن قَوْلِهم : ازْهَأَرّ النَّبْتُ ، مِثل ازْهَارّ سَواء ؛ أَو إنَّما أَدْخَلُوا الهَمْزَة هَاهُنَا فِرَاراً مِن الجَمْع بَيْن السَّاكِنَيْن " .

وقال في صفحة :٤٥٧: "فَإنْ فَاجَّت رِجْلَيْها ومَدَّت عُنُقَها واسْتَرْخَت عِند الحَلْب فَتِلْكَ المُبْخَانَّة ، يُقَال : ابْخَانَّت ابْخِينَانَا ، ومِن العَرَب مَنْ يَفِرُّ مِن الجَمْع بَيْن السَّاكِنَيْن في هذا وفي نظائره فيهمز أحدهما إِذَا كَانَ أَحَدُهما أَلِفاً أو وَاواً فيَقُول : مُبْخَأنَّةٌ ؛ فيَهْمِز الأَلِف ويَنْصِبُها ، وقَال ابْنُ مُنَبِّه : "إنّي لأَزْوَأَرُّ عَنْ هَذه فَهَمَزَ الأَلِف" .

عنايته باللّهجات العربيّة وبعض المعرّبات :

كان لِلُغات القبائل في هذا الكتاب عناية خاصّة ، فقد أفرد المؤلّف بابا في لغات أهل اليمن وسمّاه : "فصل يذكر فيه طرف من لغات أهل اليمن" أورده على سبيل السّخرية والتّهكّم والانتقاص ، مصرّحا بذلك في قوله : "ولُغَاتُهُم أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُؤْتَىٰ على آخِرِها وإِنَّما ذَكَرْنَا مِنْهَا مَاأَوْرَدْنَا لِنَدُلَّ عَلَى قُبْحِها وبَشَاعَتِها وبُعْدِها مِن السُّهُولَة والعُذُوبَة والقُرْب مِن

العُقُول ، ومَاذَكَرْنا مِن ذَلك دَالٌّ علَى مَا أغْفَلْنَا وتَرَكْنَا " .

ولاينفكّ المؤلّف بين الفينة والأخرى أن ينسب لغة من اللّغات إلى القبيلة النّاطقة بها في معرض كلامه .

قال في "مايذكر من الشّحر" : ٧٠ : "قَالُوا هُوَ مُشْتَقٌّ مِن قَوْل العَرَب شَحَرْتُه أَشْحُرُه شَحْراً، أَيّ شَهَرْتُه ؛ لغة يمانية " .

وقال في النّوادر : ١٨١ : (ولُغَةٌ لِطَيِّءٍ أَجَّانَةٌ ؛ بِفَتْح الألف وتَشْدِيد الجيم) .

وقَال أيضاً: ٢٩٨:(قُرْء المَرْأَة عِنْدَ أَهْل الحِجَاز : الطُّهْر ، وهُو عِنْد أَهْل العِرَاق : الحَيْض) .

وقال في "مايذكر من مصر" :١٤: "المِصْر في كَلَام العَرَب : الحَدُّ ، واحْتَجّ بِأَنَّ أَهْلَ هَجَر يَكْتُبُون في كُتب شُرُوطِهم وأَشْرِيَتِهِم لِلدُّور والأَرَضِين : اشْتَرَىٰ فُلَانٌ مِنْ فُلَانٍ الدَّارَ أَو الأَرْضَ بِجَمِيع مُصُورِها ، أيّ بِجَمِيع حُدُودِها " .

وقال في الأضداد:٣٤٩:"العَيِّنُ في لُغَة طَيِّءٍ : الجَدِيدُ " .

وفيها أيضا:٣٤٩:"المُقْوَرُّ فِي لُغَة الهِلَالِيِّين : السَّمِين ، وهُو فِي لُغَةِ غَيْرِهم : المَهْزُول" .

وقال في الإبل:٤٤٣:"وعَامَّة قَيْس وتَمِيم وأَسَد يَقُولُون : مِخِضَتْ يَكْسِرُون المِيمَ لِكَسْرَة الخَاءِ ويَفْعَلُون ذَلك بِكُلِّ حَرْف كَانَ قَبْل الخَاءِ والحَاءِ والعَيْنِ والغَيْنِ والهَمْزَة ؛ إِذَا كَانَتْ هَذه الأَحْرُف مَكْسُورَاتٍ كَسَرُوا مَاقَبْلَها ..." .

وغيرها ممّا لايتّسع المقام لذكره .

ولايخلو الكتاب من المعرّبات ، حيث يشير المؤلف إليها وينسبها إلى لغاتها ، يقول في "مايذكر من القيروان" : "القَيْرَوَان : جَمَاعَةُ النَّاسِ ومُعْظَمُ الأَمْرِ ومُعْظَم الكَتِيبَةِ ، وأَصْلُه بِالفَارِسِيَّةِ كَارْوَان" .

ويقول في "مايذكر من بغداد" : ٤٣ : "وحُكِي أنَّ باغ بِالفَارِسِيَّة بُسْتَان بِالعَرَبِيَّة ، وداذْ اسْمُ لِكُلّ مَلِكٍ" .

ويقول في "مايذكر من حَرَّان" : ٦٥ : "وكَانَ اسْمُهَا في الزَّمَانِ الأَوَّلِ هَرَّان ... فَلَمَّا عَرَّبَتْهَا العَرَبُ سَمَّوْهَا بِحَرَّان" .

وقال في "مايذكر من طبرستان" : ٧٢ (زِدْ : اضْرِبْ ؛ لُغَةٌ فَارِسِيَّةٌ) .

وغيره من النصوص الأخرى .

والمؤلف على دراية بلغة الفرس صرح بذلك في "مايذكر من القِسِيّ" قال : ١٣٣ : "وللقسيّ الفارسيَّة صفاتٌ كَثِيرَةٌ ونُعُوتٌ يَعْلَمُهَا رُمَاتُهُم ولاَتَعْلَمُهَا العَرَبُ لِأَنَّهم لاَيَرْمُون عَنْهَا ؛ ولَمَّا كَانَ هَذَا الكِتَابُ مَوْضُوعاً عَلَىٰ مَقَالاَتِ العَرَبِ وأَفْعَالِهِم رَأَيْتُ ألاَّ أَشُوبَهَا بِغَيْرِها" .

"كتاب الترتيب في اللغة بين غريب المصنف والمخصص" :

يعد "غريب المصنف" لأبي عبيد القاسم بن سلّام الهرويّ (ت ٢٢٤هـ) من أوائل المعاجم العربية المرتبة على المعاني والتي حملت بين دفتيها العديد من المباحث ، فقد صدر كتابه بـ(خلق الانسان) وختمه بـ(الأجناس) وسار على نهجه علي بن سيدة (ت ٤٥٨هـ) في المخصص بتقسيم كتابه وتسمية الأبواب .

ونستطيع في هذه اللمحة القصيرة أن نبين ماتميز به كتاب الترتيب عن هذين الكتابين من تقسيم الكتاب أولاً ومن تناوله للموضوعات ثانيا .

ولو وَصَلَنَا كتابُ التّرتيب كاملاً ، لَكُنّا عقدنا مقارنة واسعة ، ولكنّنا نستطيع الإضاءة على بعض الملامح من خلال الجزء الثاني الذي نتناوله بالدراسة والتحقيق ، فلربما

كانت هناك بعض المباحث الّتي تناولها غريب المصنّف أو المخصّص لم يتناولها ابن مطرّف في كتابه ، ولكنّنا سنذكر ماتناوله ابن مطرّف وأغفله أبو عبيد وابن سيدة :

(١) صدّر ابن مطرف هذا الجزء باشتقاقات البلدان وخواصّها وأسماء المفاوز وأسماء الملوك والرؤساء في كلّ بلد .

(٢) عقد ابن مطرف فصلا في نوادر كلام العرب .

(٣) جمع معجما صغيرا لِمَا جاء من كلام العرب على افْعَنَلَّ يَفْعَلِلُّ افْعِلَّالاً وافْعِيلَالاً ، رتّبه على أواخر الكلم ترتيبا جيّدا .

وهذه الأبواب ليست من مباحث كتابي أبى عبيد وابن سيدة بل إنّي لم أجد بعد بحث واستقصاء مَنْ جمع ماجاء من كلام العرب على افْعَنَلَّ يَفْعَلِلُّ افْعِلَّالاً وافْعِيلَالاً ؛ وإنّما نجد مواد هذا الوزن مبثوثة في المعاجم اللّغوية هنا وهناك .

ونتناول فيما يلي مقارنة في تناول الموضوعات ، ونورد مثالا عليها "أسماء السّيف" في الكتب الثّلاثة :

(١) غريب المصنّف :

قال أبو عبيد فى كتاب السّلاح : "السّيوف ونعوتها" : "سَمِعْتُ الأَصْمَعِيّ يَقُول مِن السُّيُوف الصَّفِيحَة وهُو العَرِيض ، والقَضِيب وهُو اللّطِيف ، والمُفَقَّر وهُو الّذي فِيه حُزُوزٌ مُطْمَئِنَّة عَنْ مَتْنِه ، والصَّمْصَامَة الصَّارِم الّذي لايَنْثَنِي ، والمَأْثُور الّذي في مَتْنِه أثر ، والقَضِم وهُو الّذي طَال الدَّهْر علَيه فتَكَسّر حَدُّه والكَهَام الكَلِيل الّذي لايَمْضِي ، والدَّدَان وهو نَحْوٌ من الكَهَام".

ثمّ قال : "الأُمَوِي : ومنها الهُذَام وهو القَاطِع ، غيره : المَهْو : الرَّقِيق ... الفرّاء : جُرُبَّان السَّيْف حَدُّه وعلَى لَفْظِه

جُرُبّان القَمِيص عَن الكِسَائِيّ ، ظُبَة السّيف : حَدُّه ، غيره : ذُبَاب السَّيف طَرَفُه الّذي يُضْرَب بِهِ " .

(٢) المخصّص : "أسماء السّيوف" :

"ابن دريد : السَّيف مُشْتَقٌ مِن قَوْلِهم سَافَ مَالُه ؛ أيّ هَلَك فلَمَّا كان السّيف سبَبَاً للهَلَاك سُمِّي سَيْفاً ، أبو زيد : الجَمْع أسْيَافٌ وسُيُوفٌ ، ابن السِّكّيت : رَجُلٌ سَيَّافٌ وسَائِفٌ : مَعَه سَيْفٌ ، أبو عُبَيْد : المُسِيف : المتقلّد للسّيف فإذا ضَرَب بِه فهُو سَائِفٌ وقد سِفْتُه سَيفاً " .

ثم يدرج بعض الفصول تحت أسماء السّيوف ، وهي : أسماء مافي السّيوف ، نعوت السّيوف من قبل قطعها ومضائها ، نعوتها من قِبَل نبوّها وكِلَتِهَا ، نعوتها من قبل لَمَعَانِها ومَائِها واهْتِزَازِها ، نعوتها من قِبَل تَثَلُّمِها وطَبْعِها وعِوَجِها ، نُعوتها من قِبَل صَقْلها وطَبْعِها ، نُعُوتها من قِبَل عَرْضِها ولُطْفِها ، نُعوتها من قِبَل ذُكْرَتها وأُنُوثَتِها ، المُمْتَهَن من السّيوف والمُجَرَّب ، نعُوتها من قِبَل مَوَاضِعِها وصُنَّاعِها ، غِمد السَّيف وحَمَائِله ، انْتِضَاء السَّيْفِ وإغْمَاده ، أَسْماء مَشَاهِير سُيُوف العَرب .

ويذكر تحت كل فصل مايقال فيه من كلام العرب ناسبا الأقوال إلى العلماء الذين نقل عنهم ، مستشهدا على ذلك .

(٣) الترتيب : "مايذكر من السّلاح من ذلك السّيوف" :

"قال ابن مُطَرِّف : يُقَال لِلْوَاحِد منها : سَيْفٌ ، والاثنين : سَيْفَان ، وللثَّلَاثة ومَاقَلَّ مِنْ عَدَدِها بَعْدَ ذَلك : الأَسْيَاف ؛ فَإِذَا كَثُرَت فهِي السُّيُوف والسِّيوف بِضَمّ السِّين وكَسْرِها مثل البُيُوت

والعُيُون ونَحْو ذَلك . وإنَّما سُمِّي السَّيْفُ سَيْفاً لإذْهَابِه مَاضُرِب به وإفْسَادِه إيَّاه - ولِذَلك قَالُوا فِي الشَّيءِ إذَا حَكَّ شَيْئاً غَيْرَه فأَذْهَبَه أو أَفْسَده أو نَقَص مِنه نَقْصاً بَيِّناً ورُبَّما أذْهَبَه حَتَّى لايُبْقِي مِنه شَيْئاً بِحَيْثُ لايُرَى مِنْه مَايَنْقُص مِنه ولايُدْرَك إلاَّ عِلْماً أو حِسّاً ؛ أَعْنِي مَايَقَعُ مِن المَحْكُوك عِنْد حَكِّه كَالرِّشَاء الّذي يَجْرِي علَى العَمُود أو الحَجَر أو الخَشَب الّذي يَكُون علَى فَم البِئْر ونَحْوها وذَلك أنَّ الحِبَال إذَا كَثُر مَرُّها علَى هَذه الأَشْيَاء وعلَى مَاهُو أَصْلَب مِنْها أَكَلَت مِنْها وأَثَّرَتْ فِيها تَأْثِيراً عَظِيماً ورُبَّما أَفْنَت جَمِيعَ مَاتَمُرُّ عَلَيْه علَى ضَعْف الحِبَال وقُوَّة مَاتَجْرِي عَلَيه ولايُرَى أَحَدٌ ذَلك الشَّيءُ الّذي يَنْقُص مِن المَحْكُوكَات - فيُقَال حِينَ ذَلك سَافَ الشَّيءُ يَسِيفُ سَيْفاً فهُو سَائِفٌ ولِذَلك أَيْضاً قَالُوا لِلرَّجُل إذَا ذَهَب مَالُه وهَلَكَتْ مَاشِيَتُه قَدْ أَسَافَ الرَّجُلُ فَهُو مُسِيفٌ حَكَى ذَلك الأَصْمَعِيُّ" .

ثمّ يذكر بعض أسماء السيف ويفسّرها تفسيرا دقيقا ، ويورد أسماء السّيف وصفاته بقوله : "وبعد هذا فللسّيف أسماء ونعوت كثيرة منها ماقد ذكرته ومنها ماسأذكره وأجمع أسماءه ونعوته نسقا واحدا ..." وبعد إيراد أسماء السّيف وصفاته يسهب في شرحها والاستشهاد عليها .

فأبو عبيد كانت مادته العلميّة قليلة وكذلك شواهده بالنّسبة لابن مطرّف وابن سيدة ، أفرد للسّيوف صفحة واحدة فقط مع عزوه الأقوال إلى سابقيه من العلماء الّذين نقل عنهم ، وهذا غير مستغرب على كتاب في بدايات التّأليف المعجميّ ، الأمر الّذي يُعْوِزُه الرّجوع إلى المصادر الّتي جمعت فأوعت .

وابن مطرّف في التّرتيب جمع كلّ مايتعلّق بالسّيوف في فصل واحد دون تقسيمه ، وإن كان قد استعمل طريقة الطّيّ والنّشر ،

حيث ذكر أسماء السّيف ونعوته ، محاولا إحصاءها ، ثمّ تناولها بالشّرح والاستشهاد عليها ، وكان أقلّ عزواً من أبي عبيد وابن سيدة . وهناك سمة مميّزة له وإن كانت لم ترد في السّيف ، وهي عنايته بإيراد الأخبار الطريفة ، وسأورد نماذج منها بعد قليل . في حين أنّ الدّقة والمنهجية تتّضح في المخصّص ، حيث قسّم المؤلّف باب السّيوف إلى عدّة فصول كلّ على حدة ، ممّا يسهّل على الباحث أن يجد بغيته بدون عناء ، ولايخفى تأثره بأبي عبيد في عزو الأقوال إلى أصحابها الّذين نقل عنهم .

"في كتاب الأضداد" :

(١) أورد أبو عبيد ٣٨ كلمة من الأضداد .

(٢) أورد ابن سيدة ١٠٠ كلمة من الأضداد .

(٣) أورد ابن مطرّف ١٢٣ كلمة من الأضداد .

وسنورد مثالا من الكتب الثّلاثة :

قال أبو عبيد : "أبوعمرو : الماثِل : القائِم ، والماثِل : اللّاطِئ بِالأرْض" .

وقال ابن سيدة : "والمَاثِل : القَائِم واللّاطِئ بِالأرْض . ابن دريد : مَثَل ومَثُل" .

وقال ابن مطرّف : "والمَاثِل : الذّاهِب ، والمَاثِل : القَائِم المُنْتَصِب ، والمَاثِل : اللّاطِئ بِالأرْض . قَالَ الأصْمَعِيّ : مثل بين يديه : انْتَصب . وجاء في الحديث : "مَنْ أحبّ أنْ يَمْثُلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَاماً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِن النَّارِ" مَعْنى يَمْثُل : يَنْتَصِب . قَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

يَظَلُّ بِهَا الحِرْبَاءُ لِلشَّمْسِ مَاثِلاً ... عَلَى الجِذْلِ إلّا أَنَّهُ لَايُكَبِّرُ

والعَرب تقول : رَأيْتُ شَخْصاً ثمّ مَثَل ؛ أيّ ذَهَب فَلَم أرَه ،

قال أَبُو خُرَاش الهُذَلِيّ ، وذَكَر صَقْراً :

يُقَرِّبُهُ النَّهْضُ النَّجِيْحُ لِمَا يَرَىٰ وَمِنْهُ بُدُوٌّ مَرَّةً وَمُثُولُ

مُثُول ؛ أي ذَهَاب ، وبُدُوُّه : ظُهُورُه . ويُقَال : مَثَلَ بِهِ يَمْثُل مُثُولاً : إِذَا جَدَع أَنْفَه أو قَطَع أُذُنَه أو شَفَتَه ، ومِثْله : مَثَّل بِهِ تَمْثِيلاً . وقيل لأبي عَمْرو بن العَلَاء : كَيْفَ رِجْلُك ؟ وكَانَت مُوجَعَةً ؛ فقَال : مَا ازْدَادَت إِلّا مَثَالَةً ؛ أيّ قَدْ تَمَاثَلَتْ . ويُقَال : أَمْثِلْنِي مِن فُلانٍ ؛ أيّ اقْتَصَّ لِي مِنْه ، وأَنْشَد أَبُو العَبَّاس :

فَمَا رَامَهُ حَتَّى أَتَىٰ جَارَ بَيْتِهِ يُقَاتِلُهُ عَيْنًا وَقَالَ لَهُ امْثُلِ

هَذَا مِن مَثَل بِه يَمْثُل مُثُولاً" .

ويتّضح من خلال النّصوص الثّلاثة إسهاب ابن مطرّف في شرح هذه الكلمة والاستشهاد عليها ، وهي السِّمَة الغالبة على منهجه في الأضداد . وإلّا ففي أحيان قليلة يقتصر على ذكر المعنى دون استشهاد ، كقوله : "البَصِير : الأَعْمَى ، وهو الصَّحِيح البَصَر . البُحْتُر : القَصِير ، وهو العَظِيم . القَشِيب : الجَدِيد ، وهو الخَلَق ..." .

وقد كرّر ابن مطرّف بعض المواد فى كتاب الأضداد ، الأمر الّذي يخلو منه كتابا أبي عبيدة وابن سيدة .

وفي الإبل :

وهو من الموضوعات المشتركة بين الكتب الثّلاثة أيضا .

وقد انتهى الجزء الثّانى من كتاب التّرتيب بـ : "نعوت ذكور الإبل" ، ووعد المؤلّف أنّه يستأنفه فى الجزء الثّالث بـ : "مايذكر من سير الإبل ونعوتها" .

وبما أنه ناقص فلانستطيع اضافته ، ولكن تجدر الإشارة هنا إلى تأثر ابن مطرف بأبي عُبَيْد ، فتكاد تكون مسمّيات الأبواب متطابقة عندهما ، أورد ابن مُطَرِّف : "مايذكر من أصواتها وهدرها" ، وعند أبي عبيد : "باب أصوات الإبل" ، و"مايذكر من عيوب الإبل" ، عند أبي عبيد : "عيوب الإبل الذكور" ، و"مايذكر من أدوائها" ، عند أبي عبيد : "باب أمراض الإبل وأدوائها" و"مايذكر من نعوت ذكور الإبل" ، عند أبي عبيد : "نعوت الذكور من الإبل" . أما الأبواب الأخرى كـ"حمل الإبل ونتاجها" و"أسنان الإبل" فقد ذكرها ابن مُطَرِّف في بداية حديثه عن الإبل دون أن يضع لها أبواباً خاصة .

عناية المؤلف بإيراد الأخبار :

إن مِمَّا تميَّز به كتاب الترتيب أنه حمل بين دفتيه الكثير من الأخبار مضمنة أبواب اللغة ، وهذه الأخبار يوردها المؤلف للاستشهاد بها واستحسانا لها لأنها تتعلق بالباب الذي يتحدث فيه . مِمَّا يجعله يأخذ طابع كتب الأمالي والنوادر .

ومما جاء وأورده استحسانا :

في صفحة : ٢١٣ : "وروى ابن الأعرابي ، قال : أَخْبَرَنِي الهَيْثَم بنُ عَدِيّ بإِسْنَاد لَه : أَنَّ مُعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان خَطَب إلى عُبَادة بن الصَّامِت ابْنَتَه علَى ابْنِه يَزِيد ، فكَتَب إليه : كَتَبْتَ إلى تَخْطِب ابْنَتِي علَى يَزِيد ، وقد كَتَبْتُ إليك بَيْتَيْن فَاحْفَظْهُما :

فَلَوْ أَنَّ نَفْسِي طَاوَعَتْنِي لَأَصْبَحَتْ لَهَا حَفَدٌ مِمَّا يُعَدُّ كَثِيرُ
وَلٰكِنَّهَا نَفْسٌ عَلَيَّ كَرِيْمَةٌ عَيُوفٌ لِأَصْهَارِ اللِّئَامِ قَذُوْرُ

وفي صفحة ٣٦١: في باب (لغات أهل اليمن): "ولَقَدْ حُكِيَ أَنَّ رَجُلاً مِنْهم قَالَ لأحْمَد ثَعْلَب: بَاسْبُك؟، يُريد: مَا اسْمُك؟ فَقَال لَه ثَعْلَب: اسْبِي أَحْبَد؛ فقَالَ لَه مَنْ حَضَرَه: لِمَ قُلْتَ لَه ذَلك؟ فقَال: أَجَبْتُه بِلُغَتِه.

ومِمَّا أورده لتعلقه بالباب الذي يتحدث فيه في باب: "مايذكر من النبل وقداحها" ١٥٠: (وقَدْ شَهِد ذَلكَ قَيْس بنُ زُهَيْر، وقَالَ لَهُ يَوْم اسْتَبَقَتْ غَطَفَان عَلَى دَاحِسٍ وغَبْرَاء حُذَيْفَة بنُ بَدْر الفَزَارِيّ حِينَ ذَكَرُوا المَدَى والمُسْتَبَق: أَخَدَعْتَنِي يَاقَيْس؛ فَقَالَ قَيْس: "تَرَكَ الخِدَاعَ مَنْ أَجْرَى مِن مائَة"، فَأَرْسَلَها مَثَلاً).

ومن هذه الأخبار ماكان مُتَعَلِّقا بكتاب الله، عزَّ وجلّ، كإيراده ماجرى بين عمر بن عبد العزيز ونعيم بن سلامة الحميرى، قال في صفحة ٢٩٥: (قَالَ عُمَر بنُ عَبْد العَزِيز لِنُعَيْم ابنَ سَلَامة الحِمْيَرِيّ: قَوْمُك الّذِينَ قَالُوا: "رَبَّنَا بَاعِد بَيْنَ أَسْفَارِنَا وظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ" فقَال: مَاقَالَ قَوْمُك يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَشَدُّ؛ قَالَ: ومَاقَالُوا؟ قَالَ: قَالُوا: "اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَو ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيم" فتَبَسَّم عُمَرُ وانْقَطَع).

وللاستزادة تنظر الصفحات: ٢٤٩، ٢٥٧، ٢٦٥، ٢٦٧، ٣٦٠، ٣٦٩، ٣٧٤، ٣٨٢، ٣٨٤، ٤٠٢.

وصف المخطوطة

نسخة الكتاب وحيدة ، وهي في جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية ، في المكتبة المركزيّة ، رقم :

وتقع في (١٤٩) ورقة ، وعدد الأسطر (١٩) ، وفي السطر (١٢) كلمة تقريبا .

تنقص من أوّلها وريقات سقطت معها صفحة العنوان ، بدأها النّاسخ بـ : "سَنَّ الرِّحْلَتَيْن ، رِحْلَة الشِّتَاء ورِحْلَة الأصْيَاف ..." .

آخرها : ختمها النّاسخ بالعبارة التّالية : "تَمَّ الجُزْءُ الثَّانِي مِن كِتَاب "التَّرْتِيب" بِحَمْدِ اللّهِ ومَنِّه ، يَتْلُوه في الجُزْء الثَّالث : (مَا يُذْكَرُ مِنْ سَيْر الإِبِل وَنُعُوتِها) ، وصلّى اللّهُ علَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِه وسَلَّمَ" .

وقد كتبت بخطّ نسخ جيّد ، مضبوطة بالشّكل الكامل ، منسوخة في القرن السّادس (ظنّاً) ، وقد صُحِّحَت بعد نَسْخها ، وقُوبِلَت ، ووضع النّاسخ تصحيحها على هوامشها .

ثمّ قرأها عالم فاضل لم يفصح عن اسمه ، ووضع بعض التّعليقات والعنوانات على جوانب المخطوط ، كما ترجم للمؤلّف وعرّف به في أوّل النّسخة ، ويظهر أنّه الشّهاب الخفاجي .

وصفحاتها مرقّمة ترقيما حديثا ، تداخلت معه أوراق النّسخة ، ولعلّه قد سقط منها شَيْءٌ بِسَبَبِه ، ففي باب "نوادر كلام العرب" ينقطع في الصفحة : ٥٨/أ ثمّ يستأنف في الصفحة : ٦٧/ب وإن كان الكلام لايتّصل به ، وينقطع مرّة أخرى في الصّفحة ٨٩/أ ، ويستأنف في الصّفحة : ٥٨/ب ولايتّصل الكلام به أيضا .

وفي باب "كُنَى الإناث" ينقطع في الصفحة : ٦٧/أ ، ويستأنف في الصّفحة : ٨٩/ب ويتّصل به الكلام .

وقد جاء على الورقة الأولى منها تملك السّيد أحمد بن أحمد الفيّومي ، المتوفّى سنة ١٠٦٩هـ .

منهج التحقيق

حاولت جاهدا أن أبرز هذا الأثر على الصورة التي ارتضاها له مؤلفه ، وذلك بقراءة النصّ وضبطه ، وعزو الآيات القرآنية إلى سورها وأرقام آياتها ، وتخريج أحاديث رسول الله - صلّى اللّه عليه وسلّم - وأقوال الصحابة - رضوان الله عليهم - من الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها ، ونسبة الشعر الذي لم ينسبه المؤلف وتخريجه في حاشية الكتاب من مظانّه مبتدئا بدواوين الشّعراء الموثوقة ثم مجاميع الشعر وكتب الأدب والشواهد عامة ، وتخريج أقوال العلماء وعزوها إلى مصادرها الأصلية ، وتخريج المنقول من كلام العرب من حكم وأمثال وأقوال معزوّة إلى مصادرها الأصليّة ، ما أمكن ذلك . وشرح ما غمض من نصوصه وأساليبه بما يُعين القارئَ على فَهم هذه النصوص فقط ، ومقارنتها بما ورد في المعاجم الأخرى وخاصة معاجم المعاني .

الترتيب في اللغة

الورقة الأولى من المخطوط

شتى الرحلتين رحلة الشتا ورحلة الاصياف وقد جمعتهما الروايات
في هذه الابيات التي اجمعها ما انا ذاكره من الزبعرى يعني

يا ايها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك امك لو نزلت برحلهم منعوك من جوع ومن اقراف
المطعمون اذا الرياح تناوحت والراحلون لرحلة الايلاف
والآخذون العهد من آفاقها والباهشون لمقدم الاضياف
عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

ما ذكر من الرملة

قال الذي ابتدا عمارتها سليمان بن عبد الملك بن مروان وان مدينة فلسطين
قبلها كانت لد وان سليمان ولي لها من قبل ابيه وهو صبي وكان مقيمه
من تدبيره وتشير اليه من قبل ابيه وكان الاسم في الامارة لسليمان وان
كنيسة [illegible] كان الى جانبها بستان حسن العمارة مليح الموقع كثير الفواكه
وكان سليمان كثيرا ما يدخله ويجلس فيه ويستحسنه ويستطيبه فقال
يوما للشيخ الذي يدبر برأيه وقيل انه كان يعرف برجا بن حيوة احتال
تشتري لي هذا البستان حتى اتقدم بان يبني فيه من الابنية والمجالس
ما يصلح للملك وكان البستان ملكا للنصارى التي تتولى امر الكنيسة
ولعضه رجا وقال له في ذلك فقال [illegible] احسن [illegible]
البلد [illegible] افعل ما تشا واشهد على نفسي [illegible]

بدايـــة المخطـــوط

١٤٩

وإن ضرب وزبَّر بأنفه ويخبط بيديه ويرفس برجله ولا يهدر. والصرصرانيات التي بين البخاتي والعراب ويقال لها الفوالج. والقشعم القطم الشديد. والجراهم والعراهم والعراهز. والوشم كني واحد وهو العظيم. والقصاقص الشديد. والقبقب والقباقب الكبير المدبر. والقرم والمقرم الفحل المنتخب. ويقال بعير صلخد وصلخد وصلاخد وصلخدي وهو الغليظ الشديد.

تم الجزء الثاني من كتاب الترتيب بحمد الله ومنه
يتلوه في الجزء الثالث ما يذكر من سير الإبل العرب

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الورقة الأخيرة من المخطوط

فهرس الموضوعات

الصفحة